الفصل الرابع

الدراسة النحويّة وتتضمن:

1 ـ أسلوب التوكيد.

2 ـ أسلوب الحذف.

3 ـ أسلوب النفي.

4 ـ أسلوب الشرط.

أولاً: أسلوب التوكيد:

أسلوب التوكيد من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال العربية المدروسة، وللتوكيد أدواته وأغراضه المتعدّدة، فهناك التوكيد بالقسم، والتوكيد بالقصر، والتوكيد بالتقديم، وهناك أدوات كثيرة مفرّقة مبثوثة هنا وهناك في أبواب النحو، تؤكد بها الجملة الاسمية وتؤكّد بها الجملة الفعلية. "فالتوكيد لفظٌ يراد به تمكين المعنى في النفس، أو إزالة الشك عند الحديث، أو المُحدّث عنه، فالذي يراد به تمكين المعنى في النفس، التأكيد اللفظي، ويكون في المفرد والجملة... والذي يراد به إزالة الشك عند المُحدّث عنه، التأكيد بالألفاظ التي يبوّب لها في النحو"[1].

أما المحدثون فقد تحدّثوا أيضاً عن جدوى التوكيد والغرض منه قال أحدهم: "أما التوكيد فيؤتى به لمجرد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السامع، وللتقرير مع دفع توّهم خلاف الظاهر، وللتقرير مع دفع توّهم عدم الشمول، ولإرادة انتقاش معناه في ذهن السامع"[2] "والقصد من هذا الأسلوب الحمل على ما لم يثبت في ذهن المخاطب ليصير ثابتاً"[3]. وهنا نلحظ أنّ المحدثين قد أشاروا بشكل صريح إلى الغرض الحقيقي الذي يقوم عليه التوكيد وهو التقرير مع دفع التوّهم، وإزالة الشك في ذهن السامع، وإثبات المعنى وانتقاشه في ذهن المخاطب وهو ما أشار إليه الأقدمون. وللتوكيد في العربية صورٌ تعبيرية مختلفة، بالأداة حيناً، وبغيرها أحياناً أخرى، وفيما يلي عرضٌ لبعض هذه الصور كما تجلّت في الأمثال المدروسة:

1 ــ التوكيد بالأداة:

وفي العربية أدوات يختص بعضها بالاسم، وبعضها بالفعل، وبعضها يتصل بالأسماء والأفعال:

أ ــ ما يختص من الأدوات بالأسماء:

1 ــ إنّ: وهي من أدوات التوكيد المستخدمة في الاسم وهي "موصلة للقسم لأنك لا تقول والله زيد منطلق، فإن أدخلت إنّ اتصلت بالقسم فقلت: والله إنّ زيداً منطلق، وإذا خفّفت فهي كذلك، إلاّ أنّ

(1) المُقرّب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوارى، عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، ط1، 1971، 234/1.

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السّيد أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، د.ط و د.ت، ص129

(3) أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1986/ ص14.

لام التوكيد تلزمها عوضاً لما ذهب منها فتقول: إنّ زيداً لقائمٌ، ولا بدّ من اللام إذا خفّفت كأنهم جعلوها عوضاً ولئلا تلتبس بالنفي"[4].

فمن الأمثال التي جاءت فيها إنّ مفردة دون مؤكد آخر قولهم:

ـ "إنّ أمامي ما لا أسامي[5]"

ـ "إنّ ألبها لها[6]"

ـ "إنّ الضّلال ابن الألال فأقصر[7]"

ـ "إنّ النساء لحمٌ على وضمٌ[8]"

"واللام تدخل على خبر إنّ خاصة مؤكدة له ولا تدخل في خبر أخواتها، وإذا دخلت لم تغير الكلام عما كان عليه، تقول إنّ زيداً لقائمٌ، وإنّ زيداً لفيك راغب، وإنّ عمراً لطعامك آكل، ولكنّه لا بدّ من أن يكون خبر إنّ بعد اللام، لأنّه كان موضعها أن تقع موقع إنّ لأنها للتأكيد ووصلة للقسم مثل إنّ فلما أزالتهما إنّ عن موضعها وهو المبتدأ أُدخلت على الخبر فما كان بعدها فهي داخلة عليه، فإن قدمت الخبر لم يجز أن تدخل اللام فيما بعده لا يصلح أن تقول: إنّ زيداً لفيك راغب"[9].

و"يرى النحاة أنّ اللام الداخلة على خبر إنّ المشدّدة تكون أصلاً لتوكيد المبتدأ، ولكنّ المؤكدين (إنّ واللام) لا يتواليان ولا بدّ من وجود فاصل بينهما، لذا تنقل اللام من المبتدأ إلى الخبر وتسمى اللام المزحلقة والذي نراه أنّ هذه اللام هي لام توكيد تؤكّد المبنى الصرفي الذي تلتصق به"[10]. وهذا يدل على أن اللام تدخل على المتأخر من اسم أو خبر إنَّ.

---

(4) الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السّراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلـي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1985، 229/1.

(5) مجمع الأمثال، الميداني ،104/1،ذكر سابقاً.

(6) جمهرة الأمثال، العسكري 142/1، ذُكر سابقاً.

(7) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس،ص 118.و قال: يضرب لمن ركب رأسه في الباطل.

(8) مجمع الأمثال، الميداني ن29/1 ذكر سابقاً.

(9) الأصول في النحو، ابن السراج، 231/1.

(10) في التحليل اللغوي، منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام، د. خليل أحمد عمايرة، تقديم: الأستاذ الدكتور سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، ط1، 1987 م، ص 228.

وقد جاءت بعض الأمثال مؤكدةً بأداتي توكيد هما إنّ المشددة واللام التي تُسمى (المزحلقة) أو التأكيد[*] و ذلك في قولهم:

ـــ "إنّه لخرّاج ولاجّ[11]"

ـــ "إنّه لرابط الجاش على الأغباش[12]"

ـــ "إنّ بني فلانٍ من بني فلانٍ لفي كوّفان[13]"

ـــ "إنّه لقبضةٌ رُفضةٌ[14]"

ـــ "إنّه لفي حورٍ وفي بورٍ[15]"

ـــ "إنّه لطيورٌ فيورّ[16]"

ـــ "إنّك لتحسب عليّ الأرض حيصاً بيصاً[17]"

ـــ "إنّي لآتية بالعشايا والغدايا[18]"

ومن الأدوات التي تختص بالأسماء:

لكنّ: لقد اختلف النحاة في أصل لكنّ المشدّدة، فجمهورهم على أنّها مكونة من إنّ دخلت عليها اللام والكاف فصارت حرفاً واحداً يفيد الاستدراك ولسنا هنا بصدد البحث في أصلها. ولكنّنا نرى أنها تفيد التوكيد "ولكنّ المثقلة في جميع الكلام بمنزلة إنّ"[19].

(*) يقول محقّق كتاب أوضح المسالك: "ولا بُدّ هنا من كلمة على هذه اللام التي تُسمى لام الابتداء ولام التأكيد والـــلام المزحلقة، وأول شيء نقوله هو أنها من الألفاظ التي لها صدارة الكلام، فحقّها أن تدخل على أوّل الكلام، وحقّهـــا أيضاً أن تدخل على إنّ، لكن لمّا كانت اللام للتأكيد، وإنّ للتأكيد، كرهوا الجمع بين حرفين بمعنى واحدة، فـــأخّروا اللام إلى الخبر". أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالكْ، للإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، 1989، 279/2.

(11) العقد الفريد، ابن عبد ربه،94/3، يضرب في الرجل المجرّب.

(12) مجمع الأمثال، الميداني ،73/1 ذكر سابقاً.

(13) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت،ص 90. فسّره: كوّفانٍ بالتثقيل وهو الأمر الشديد المكروه.

(14) مجمع الأمثال، الميداني، 102/1، وقال يضرب للذي يتمسك بالشيء ثم لا يلبث أن يدعه.

(15) المصدر نفسه ،97/1، ذكر سابقاً.

(16) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت،ص 84، ذكر سابقاً.

(17) مجمع الأمثال، الميداني، 72/1، وفسّره: حيص بيص أي ضيقة.

(18) كتاب الأمثال، أبي عكرمة الضبيّ ،ص28، ذكر سابقاً.

(19) الكتاب، سيبويه، 145/2.

"ولكنّ الثقيلة التي تعمل عمل إنّ يستدرك بها بعد النفي وبعد الإيجاب، يعني إذا كان بعدها جملة تامة كالذي قبلها نحو قولك ما جاءني زيدٌ، لكن عمراً قد جاء، وتكلّم عمر ولكن بكراً لم يتكلم"[20].

وقد جاءت بعد النفي وأفادت معنى الإثبات والتوكيد في نحو قولهم:

ــ "ما حجّ ولكنّه دجّ[21]"

وجاءت مجردة من النفي في قولهم:

ــ "ريحٌ ولكنّه مليحٌ[22]"

فهنا نلحظ مجيء الاسم في الغالبية العظمى وقد تأكّد بأكثر من أداة وهذا يتساوق مع المثل الذي يقال في موضع إقامة الحجّة والإثبات، فكأنّ القائل أراد حشد كل المؤكدات الممكنة ليثّبت المعنى في ذهن السامع، وليظهر بمظهر المنتصر والمتمكن من رأيه.

ب ــ ما يختص من الأدوات بالأفعال:

1 ــ نون التوكيد الثقيلة: "ويؤّكد بها الأمر مطلقاً، ولا يؤّكد بها الماضي مطلقاً، أما المضارع فله حالات إحداها: أن يكون توكيده بها واجباً وذلك إذا كان مثبتاً، مستقبلاً، جواباً لقسم، غير مفصول من لامه بفاصل، ولا يجوز توكيده بها إن كان منفياً أو كان مفصولاً من اللام والثانية: أن يكون قريباً من الواجب وذلك إذا كان شرطاً لا المؤكدة بما"[23]. و"نون التوكيد الثقيلة تلحق بالفعل غير الماضي إذا كان واجباً للتأكيد فيبنى معها وهي تجيء على ضربين: فموضعٌ لابد منها فيه، وموضعٌ يصلح أن تخلو منه، فأمّا الموضع الذي تخلو منه، فإذا كانت مع القسم وذلك قولك: والله لأفعلنّ... وأما الموضع الذي تقع فيه النون وتخلو منه، فالأمر والنهي وما جرت مجراهما من الأفعال غير الواجبة وذلك قولك: أفعلنّ ذاك، ولا تفعلنّ، وهل تقولنّ، أو تقولنّ لأنّ معنى الاستفهام معنى أخبرني وكذلك جميع حروف الاستفهام"[24].

ونون التوكيد تدفع الشك وتمنع تسربه إلى ذهن السامع حين يتردد في تصديق الكلام، وعندما لا يحسن المتكلم التقدير إذ كان عليه أن يعمل على دفع الشك ويمنع تسربه إلى ذهن السامع. ونون التوكيد تزيد معنى الجملة قوة، وتكسبه تأكيداً، وقد تفيد النون الدلالة على الإحاطة والشمول إذا كان الكلام لغير الواحد.[25].

---

(20) الأصول في النحو، ابن السراج، 244/1.

(21) مجمع الأمثال، الميداني 311/2، ذكر سابقاً.

(22) المصدر نفسه، 445/1، ذكر سابقاً.

(23) أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، ابن هشام، 21/4.

(24) الأصول في النحو، ابن السراج ، 200/2.

(25) النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط3، 1968، ص161 بتصرّف.

وقد جاءت نون التوكيد الثقيلة مجردة من اللام مؤكدة للفعل المضارع توكيداً جائزاً في نحو قولهم:

ــ "لا تكذبنّ ولا تشبهنّ[26]".

ــ "شاورهنّ وخالفوهنّ[27]".

وهنا جاء الأمر مؤكّداً بنون التوكيد الثقيلة كذلك.

وجاء الفعل المضارع مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة تأكيداً واجباً في قولهم:

ــ "لألحقّن حواقنك بذواقنك[28]"

ويقول سيبويه: "اعلم أنّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أنّ كلّ شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة، وزعم الخليل أنهما توكيد كما التي تكون فضلاً، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكد، وإذا جئت بالثقيلة أنت أشدّ توكيداً"[29].

وهنا نلحظ شيوع نون التوكيد الثقيلة دون الخفيفة في الأمثال وذلك لما يتطلّبه المقام من التشديد في التأكيد، فالنون المشددّة أشدّ توكيداً من الخفيفة، ومجيء نون التوكيد الثقيلة هو بمنزلة القسم على صحة الكلام وصدقه، أو بمنزلة تكراره وإعادته بقصد تأكيد مضمونه، وصحة ما حواه، فلا يكون هناك مجال للشك والتردد عند من هو مستعد للاقتناع وهو ما يتطلبه مقام الأمثال، ومن ناحية أخرى فإنّ نون التوكيد الثقيلة تُخلص الفعل المضارع للزمن المستقبل وتقوي الاستقبال في الأمر[30].

2 ــ ومن الأدوات التي تختص بالأفعال كذلك " قد" وهي "جوابٌ لقوله: لمّا يفعل وزعم الخليل أنّ هذا لقوم ينتظرون الخبر، وقد تكون قد بمنزلة رُبّما"[31]. ويقول آخر: "قد فيها ثلاثة معانٍ: التحقيق، والتوقيع، والتقريب، وقد يكون مع التحقق التقريب فقط، ويجوز أن تقول قد ركب زيد لمن لم يكن يتوقع ركوبه، ولا تدخل على الماضي غير المتصرف كنعم وبئس وعسى وليس؛ لأنها ليست بمعنى الماضي حتى تقرب معناها من المحال وتدخل أيضاً على المضارع .....فينضاف إلى التحقيق في

(26) مجمع الأمثال، الميداني، 245/2، ذكر سابقاً.

(27) زهر الأكم، اليوسي، 240/3، ذكر سابقاً.

(28) مجمع الأمثال، الميداني،165/2. قال أبو عبيد: أما الحاقنة اختلفوا فيها فقال أبو عمر و هي النقـرة التـي بيـت الترقوتو حبل العنق وهما الحاقنتان، والذاقنة: طرف الحلقوم.

(29) الكتاب، سيبويه، 509/3.

(30) النحو الوافي، عباس حسن، ص162 بتصرّف.

(31) الأصول في النحو، ابن السراج، 209/2.

الأغلب التقليل نحو إن الكذوب قد يصدق، أي بالحقيقة يصور منه الصدق وإن كان قليلاً، وقد تستعمل للتحقيق مجرداً عن معنى التقليل، وتستعمل أيضاً للتكثير في موضع التمدح"[32].

وذلك في قولهم:

ـ "إذا احتاج الزّق إلى الفلك فقد هلك[33]"

ـ "إذا وقى الرجل شرّ لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي الشّر كلّه[34]"

ـ "من لا حاك فقد عاداك[35]"

ـ "من بدا فقد جفا[36]"

وهنا نلحظ مجيء قد في جواب الشرط بشكل ملحوظ وقد اقترنت بالفاء في حين جاءت قد في ابتداء الجملة في نحو قولهم:

ـ "قد أحزم لو أعزم[37]"

ـ "قد يبلغ الخضم بالقضم[38]"

ـ "قد أنصف القارة من راماها وردّ أولاها على أخراها[39]"

ـ "قد قضيت كلّ حاجة وداجة[40]"

ج ـ الأدوات التي تتصل بالأسماء والأفعال:

1 ـ أداتا القصر (إنّما) ـ (وإلاّ) مع النفي.

---

(32) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 388/2.

(33) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1، وفسّره: الفلك: جمع فلكة فحركت للازدواج. يضرب للكبير يحتاج إلى الصغير.

(34) المستقصى، الزمخشري ،129/1، وقال: أي شرّ لسانه وبطنه وفرجه.

(35) جمهرة الأمثال، العسكري، 188/2، وفسّره بقوله: الملاحاة الملاومة وأصله من قولهم: لحوت العود إذا قشرته، وألحى الرجل وألام إذا أتى مايلام عليه ويُلحى من أجله.

(36) المستقصى، الزمخشري ،354/2، ذكر سابقاً.

(37) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2، ذكر سابقاً.

(38) المصدر نفسه، 56/2، ذكر سابقاً.

(39) المجهول،ص 81، ذكر سابقاً.

(40) الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري 227/2، قال أبو بكر: في الداجة قولان: أحدهما ما لا يذكر احتقاراً له أي قد قضيت الحوائج التي لها موقع من قلبي. وقضيت ما لا يذكر احتقاراً له. ويقال الداجة: معناها كمعنى الحاجة فنسقت عليها لخلافها لفظها.

القصر هو "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوصة"[41].

أ ــ القصر بإنّما: يقول أحد النحويين: "تتّصل ما الزائدة بإنّ وأخواتها إلاّ عسى ولا فتكفها عن العمل، وتُهيّئها للدخول على الجمل، نحو "قل إنّما يُوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد"[42]. إلاّ ليت فتبقى على اختصاصها ويجوز إعمالها وإهمالها"[43].

و"تدخل ما زائدة على إنّ على ضربين: فمرة تكون ملغاة دخولها كخروجها، لا تغيّر إعراباً، تقول: إنّما زيداً منطلق، وتدخل على إنّ كافة للعمل فتبنى معها بناء فيبطل شبهها بالفعل، فتقول إنما زيدٌ منطلقُ، فإنّما ها هنا بمنزلة فعل ملغى مثل أشهد لزيد خير منك"[44].

و"قال الخليل: إنّما لا تعمل فيما بعدها، كما أنّ أرى إذا كانت لغواً لم تعمل فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما كان نظير إنّ من الفعل ما يعمل"[45].

"ويرى النحاة أنّ أصل هذه الأداة إنّ بكسر الهمزة وفتحها، زيدت عليها (ما) فكفتها عن العمل، لذا فهي تسمى كافة ومكفوفة، وتدخل على الجملة الفعلية كما تدخل على الاسميّة، وهي في كلتا الحالتين تفيد معنى التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بإنّ وحدها، وغالباً ما تكون في سياق فيه إنكار وجحد يحتاج إلى درجة عالية من توكيد الخبر"[46].

وهذا يقود إلى القول: ما الزائدة تتصل بإنّ وأخواتها فتكفّها عن العمل إلاّ ليت فتبقى معها على اختصاصها ويجوز إعمالها وإهمالها، وهي تفيد معنى التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بإنّ وأخواتها وحدها.

وقد جاءت إنّما وأفادت معنى التوكيد في نحو قولهم:

ــ "إنّما خدش الخدوش أنوش[47]"

ــ "إنّما هو الفجر أو البجر[48]"

---

(41) البلاغة من منابعها، علم المعاني، د.محمد هيثم غرّة، دار البشائر، ط1، 1999، ص125.

(42) سورة الأنبياء، الآية 108.

(43) أوضح المسالك، ابن هشام، 280/2.

(44) الأصول في النحو، ابن السراج، 232/1.

(45) الكتاب، سيبويه، 138/2.

(46) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، ص 232.

(47) مجمع الأمثال، الميداني 28/1، وفسّره: الخدش: الأثر، وأنوش هو ابن شيت بن آدم صلى الله عليه وسلم أي أنــه أول من كتب وأثّر في الخط المكتوب، يضرب فيما قدم عهده.

(48) المصدر نفسه، 94/1. ذكر سابقاً وهنا نذكّر به: أي إن انتظرتُ حتى يضيئ لك الفجر الطريق أبصرت قــدرك، وإذا خبطت الظلماء وركبت العشواء هجمابك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع فيها.

يقول أحد البلاغيين نقلاً عن السكاكي: "ويُذكر لذلك وجهٌ لطيف يسند إلى عليّ بن عيسى الرّبيعيّ، وهو أنه لما كانت كلمة (إنّ) لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها ما المؤكدة ــ لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ــ ناسب أن يُضمّنَ معنى القصر؛ لأنّ القصر ليس إلاّ تأكيداً على تأكيد."[49] ويقول في موضع آخر: "والدليل على أن (إنّما) تفيد القصر كونها متضمنة معنى ما وإلاّ"[50].

ب ــ القصر بإلاّ مع النفي: وجاءت إلاّ مع النفي في قولهم:

ــ "ما ألقاه إلاّ الفينة بعد الفينة[51]"

ــ "ما هو إلاّ غَرقٌ أو شرقٌ[52]"

ــ "أليّة في بريّة ما هي إلاّ لبليّة[53]"

ــ "لا ينبت البقلة إلاّ الحقلة[54]"

فهنا نلحظ مجيء القصر بإلاّ وقد سبقت بأداتي نفي هما (ما ــ لا). "وشرط قصر الموصوف على الصفة إفراداً عدم تنافي الصفتين، حتى تكون المنفية في قولنا ما زيد إلاّ شاعرٌ كونه كاتباً أو منجّماً، أو نحو ذلك، لا كونه مُفحماً لا يقول الشعر؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما وشرط قصره قلباً تحقق تنافيهما، حتى تكون المنفية في قولنا ما زيد إلاّ قائمٌ، كونه قاعداً أو جالساً، أو نحو ذلك لا كونه أسودَ، أو أبيضَ ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء غيرها"[55].

و"القصر لا يعدو أن يكون تأكيداً للكلام ومبالغة في توضيح الأحكام وتثبيتها في الأذهان، غير أن التأكيد مع إنّما توكيد الإثبات، ومع النفي وإلاّ تأكيد النفي"[56].

فالقصر هنا جاء بطريقة النفي والاستثناء بنوعيه قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة.

---

(49) الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، الدار الإفريقية العربية، (د.ط.) 1989 م، 217/1.

(50) المصدر نفسه، 216/1.

(51) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 594 وفسّره: أي إلاّ المرّة بعد المرّة يقال في باب اللقاء في قربه وإبطائه.

(52) مجمع الأمثال، الميداني 393/2، ذكر سابقاً.

(53) المصدر نفسه، 122/1.

(54) المصدر نفسه، 233/2، ذكر سابقاً.

(55) الإيضاح، القزويني، 214/1.

(56) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1972، ص 190.

2 ــ القصر بالعطف: وقد تجلّى ذلك في قولهم:

ــ "ليس الشحم باللحم ولكنْ من قواصيه"[57]. ولكن هنا تفيد الاستدراك وقد جاء بعدها المقصور عليه حيث قصرت الشحم على قواصي اللحم.

3 ــ وهناك ضربٌ من القصر يتجلّى في تقديم ما حقّه التأخير:

وسنتحدث هنا عن تقديم (الباء) و"قيل فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى كما تقدّم في من الاستغراقية والباء في خبر ما وليس فإن قيل فيجب أن لا يكون زائدة إذا أفادت فائدة معنوية، قيل إنما سمّيت زائدة لأنه لا يتغير بها أصل المعنى بل لا يزيد بسببها إلى تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئاً لما لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها... وأما الفائدة اللفظية فهي تزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح أو كون الكلمة والكلام بسببها مهيأ لاستقامة وزن الشعر أو لحسن السمع أو غير ذلك من الفوائد اللفظية"[58].

و"أجمع النحاة وأهل اللغة على أن النفي مع الباء في خبر ليس أو خبر ما آكد منه بدونها ومع هذا فقد عدوا هذه الباء زائدة"[59].

وذلك في مثل قولهم في الباء:

ــ "ما أنت بخية ولا سبّية"[60].

هنا جاءت الباء زائدة في خبر ما العاملة عمل ليس وأفادت معنى التوكيد لمجيئها بعد النفي

ــ "لست بخلاةٍ بنجاةٍ[61]"

ــ "ليست بريشاء ولا عمشاء[62]"

ــ "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه"[63].

فهنا نرى مجيء الباء زائدة في خبر ليس وقد أفادت هذه الباء معنى التوكيد لمجيئها بعد النفي.

---

(57) المستقصى، الزمخشري 304/2 ، وفسّره: أي من جوانبه ، يضرب للمتشابهين وليسا بشيء واحد.

(58) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 384/2.

(59) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 195.

(60) مجمع الأمثال، الميداني،297/2، فسّره: أي لا محسن ولا مسيء.

(61) المصدر نفسه، 175/2. وفسّره: الخلاة والعشبة، النجاة: الأكمة في الأرض، أي ليست من لا يمتنع فيضام.

(62) المصدر نفسه، 187/2، وفسّره بقوله: الريشاء: الطويلة هدب العين، والعمشاء: السيئة البصر، يضرب للشيء الوسط بين الجيد والرديء.

(63) المستقصى، الزمخشري 304/2، ذكر سابقاً.

2 ـ التوكيد بغير الأداة:

1 ـ التوكيد بالتقديم:

في ذلك يقول سيبويه: "كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمّانِهم ويعنيانهم"[(64)].

"فالتقديم في التركيب الجملي في اللغة العربيّة لا يكون إلاّ عندما يقصد المتكلّم المدرك لأساليب هذه اللغة أن يؤكّد موضع الاهتمام والعناية، أو كما يقول سيبويه: والعرب إن أرادت العناية بشيء قدمته. وللوصول إلى المعنى الذي يكمن في تقديم وحدة من وحدات المبنى، أو في تقديم ممثل صرفي إشارة إلى تقديم الباب النحوي في الذهن لغرض يكمن في الذهن ويقف هذا التقديم رمزاً له"[(65)].

وفي قوله تعالى: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً"[(66)] يعلو في بلاغته وقوة تخصيصه بالفعل على القول: جعل الله لكم من أنفسكم أزواجاً. فإذا كانت كلمة الله فاعلاً في القول والجملة فعلية فهي فاعل في الآية والجملة فعلية ولكن الفاعل مقدم لغرض التوكيد" [(67)].

والتوكيد بالتقديم إنّما يقوم على أساس الخروج بجزء من الجملة عن مكانه المخصص له وتقديمه على الجزء الذي قبله [(68)] وقد ظهر ذلك في قولهم:

ـ "العاشية تهيج الآبية[(69)]"

فهنا نلحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقّه التأخير، وهنا تقّدم المقصور عليه.

ـ "عينٌ عرفت فذارفت[(70)]"

هنا كذلك نلحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقّه التأخير، فهنا نلحظ التركيز على الفاعل، ولذلك تقدّم، فهو محّط الاهتمام عند السامع و من شأن تقديمه أن يجعل موقعه ثابتاً في نفس السامع.

ـ "المعزى تُبهي ولا تبني[(71)]"

---

(64) الكتاب، سيبويه، 34/1.

(65) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، ص 212.

(66) سورة النحل، الآية (72).

(67) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، ص 214.

(68) المرجع نفسه، ص 214 بتصرّف.

(69) أمثال العرب، المفضّل الضبيّ ،ص63، ذكر سابقاً.

(70) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3.

(71) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2، وفسره: الخرق، والإبناء: أن تجعله بانياً.

وهنا كذلك نلحظ تقديم الفاعل على الفعل وحقّه التأخير.

ولكن عندما أراد المتكلم لفت انتباه السامع إلى المراد من مثله وهي (المعزى) قدّم الفاعل وأخّر الفعل لتأكيد المعنى في ذهنه وترسيخه.

2 ـ التوكيد بالتكرار:

وله في العربية طريقتان:

أولاهما: إعادة اللفظ الذي يراد تثبيته، أو دفع غفلة السامع عنه أو دفع الظن بأن السامع ظن به الغلط، ويتحقق ذلك بتكرار اللفظ نفسه. "فالتوكيد اللفظي هو اللفظ المكرّر به ما قبله"[72]. وقد ظهر ذلك في قولهم:

ـ "إحدى لياليك فهيسي هيسي[73]"

ثانيهما: التوكيد بالتكرار لما كان قائماً على المعنى دون اللفظ. وفي ذلك يقول ابن الحاجب: "التأكيد اللفظي على ضربين لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو جاءني زيد زيد وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير ويسمى إتباعاً، وهو على ثلاثة أضرب لأنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً بل ضُمّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى نحو قولك حسن بسن فسن، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو خبيث نبيث من نبثت الشر أي استخرجته..."[74]. وتبدو فكرة الإتباع واضحة في قوله "وباب الإتباع بعضه مبني كحيص بيص كما يجيء في المركب ويجب أن يراعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن"[75]. ونذكر من ذلك قولهم:

"إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي[76]"

فهنا حملت كلمة الهاوي وهي الكلمة المزاوجة معنىً تأكيدياً للكلمة الأولى الغاوي. وهي من النوع الأول الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

ـ "أحمق باكٌّ تاكٌّ[77]"

---

(72) أوضح المسالك، ابن هشام، 249/3.

(73) مجمع الأمثال، الميداني، 44/1، و فسّره بقوله: قيل: الهيس: السير أي ضرب كان ، يضرب للرجل يأتي الأمر، يحتاج فيه إلى الجدّ والاجتهاد.

(74) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 333/1

(75) المصدر نفسه، ص 333.

(76) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1،و قال: الغاوي: الجراد، الهاوي: الذباب

(77) المستقصى، الزمخشري، 72/1. و هو المتساقط جمعاً.

فهنا حملت كلمة تاك معنىً تأكيدياً للكلمة المزاوجة باكٌّ. وهي من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

ــ "جاء سبغللاً وسبهللاً"[78]، وهنا كذلك جاءت كلمة سبهللاً لتؤكد معنى الكلمة المزاوجة سبغللاً. وهي من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

ــ "ما يعرف ثطاته قطاته من لطاته.[79]"

هنا أيضاً جاءت الكلمة المزاوجة (قطاته) لتؤكد معنى (ثطاته). وهي كذلك من النوع الثاني الذي أشار إليه الرضي.

ــ "جاء بالضيح و الريح.[80]"

هنا كذلك نلحظ مجيء كلمة الريح مؤكدة لكلمة الضيح، وقد حملت معنىً مختلفاً عنها، إلا أنها اتفقت معها في الحرف فالأخير، وهي من النوع الأول الذي أشار إليه الرضي في كافيته.

ــ "أعوذ بالله من السّامة والهامّة"[81].

هنا كذلك جاءت كلمة الهامّة وقد حملت معنىً تأكيدياً لكلمة السّامة، وهي من النوع الأَّول الذي أشار إليه الرضي.

ــ "حيّاك الله و بيّاك"[82].

هنا كذلك نلحظ مجيء كلمة بيّاك مؤكدةً معنى كلمة حيّاك. وهي من النوع الثاني أيضاً.

ــ "ترك مايسوءه ينوءه"[83].

هنا كذلك جاءت كلمة ينوءه مؤكدة معنى كلمة يسوءه، وهي من النوع الثاني الذي أشار إليها الرضي في كافيته.

---

(78) المستقصى، الزمخشري، 44/2.

(79) المصدر نفسه، 337/2 وفسره أي من حمقه لا يعرف مؤخره من مقدمه يضرب للأحمق.

(80) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 59 و فسّره: الضيح ضوء الشمس، و الريح معروفة، أي جاء بما طلعت عليه الشمس وما جرت عليه الريح.

(81) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، 103، وفسّره بقوله: الهّامة: والواحدة من دواب الأرض، وهي دوابها المؤذية وهي فاعلة من همّ بالأمر إذا أراده، وهو هامٌّ، والأنثى هامة.

(82) المصدر نفسه، 24، وفسّره بقوله: في حيّاك مذهبان أحدهما ملكّك والتحيّة الملك، ومنه التحيات لله أي الملك لله، والأخر حيّاك فعلّك من الحياة أي أبقاك، وكان الأصمعي يقول: بيّاك: اعتمدك وقيل بيّاك: قرّبك.

(83) مجمع الأمثال، الميداني، 191/1، وفسّره: إذا ترك للورثة ماله.

ــ "حين تقلين تدرين"[84].

هنا كذلك نرى مجيء كلمة تدرين مؤكدة للكلمة المزاوجة لها مع اختلافهما في المعنى وهو من النوع الثاني أيضاً.

ــ "ربّ حثيثٍ مكيثٍ"[85].

هنا كذلك نرى مجيء كلمة تدرين مؤكدة للكلمة المزاوجة حثيثٍ، وهي من النوع الثالث الذي أشار إليه الرضي.

الأمثال من هذا الضرب كثيرة، ونكتفي هنا بهذه الأمثال، لنعود إلى هذا الضرب بشيء من التوسع في حديثنا عن الدلالة.

3 ــ المصدر الذي حذف عامله:

و"كل مصدر قام مقام الفعل ففيه ضمير فاعل وذلك إذا قلت سقياً لزيد، وإنما تريد سقى الله زيداً، ولو قلت سقياً الله زيداً كان جيداً، لأنك قد جئت بما يقوم مقام الفعل، ولو قلت: أكلا زيد الخبز وأنت تأمره كان جائزاً... وقال الأخفش من رد عليك ضرباً زيد عمراً إذا كنت تأمره أدخلت عليه سقياً له فقلت له: ألست، إنما تريد سقى الله زيداً فإنه قائل: نعم فتقول فكما جاز سقياً له حين أقمت السقي مقام سقاه فكذلك تقيم الضرب مقام ليضرب وتقول: ضرب زيدٌ ضرباً وقتل عمر قتلاً فتعدى الفعل الذي بنى للمفعول إلى المصدر، كما تعدى الفعل الذي بني للفاعل لا فرق بينهما في ذلك"[86]

وقد جاء ذلك في قولهم:

ــ "سقياً ورعياً"[87].

ــ "رغماً دغماً شنغماً"[88].

ــ "اللهم سمعاً لا بلغاً"[89].

---

(84) مجمع الأمثال، الميداني، 285/1، وتفسيره: أنّ رجلاً دخل إلى امرأة وتمتع بها وأعطاها أجرتها وسرق مقلى لها، فلما أراد الانصراف قالت له: قد غبنتك لأني كنت إلى ذلك أحوج منك وأخذت دراهمك، فقال لها: حين تقلين تدرين. يضرب للمغبون يظن أنه الغابن غيره.

(85) المصدر نفسه، 421/1 يقال مكث فهو ماكث ومكيث.

(86) الأصول في النحو، ابن السّراج، 166/1.

(87) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت،ص 585، يضرب في باب الدعاء للإنسان، ذكر سابقاً.

(88) المصدر نفسه، ص577. وهذا كله توكيد للرغم.

(89) المستقصى، الزمخشري، 342/1، ذكر سابقاً.

ـ "هنيئاً مرئياً غير داءٍ مخامرٍ"[90].

ـ "اللهمّ جدّاً لا كدّاً"[91].

ـ "بؤساً له وتوساً له وجوساً له"[92].

فهنا نلحظ مجيء الأمثال السابقة بصيغة المصدر الذي حذف عامله لعلم المخاطب به.

وبعد هذا العرض نخلص إلى النتائج الآتية:

1 ـ كان التأكيد في الجملة الاسمية أكثر من التأكيد في الفعلية، والجملة الاسمية تحمل معنى الإثبات، وتأكيدها بإحدى أدوات التوكيد، زادها تأكيداً على تأكيدٍ، وهو ما يناسب المثل الذي يقال في مقام إقامة الحجّة على السامع، والبرهنة على تجارب الحياة.

2 ـ تأكيد الجملة الاسمية في الأمثال العربية المتناولة لم يرد إلاّ بـ إنّ المشددة ولكنّ، وغابت معظم أساليب التوكيد الأخرى.

3 ـ الغرض من التوكيد هو التقرير مع دفع الشك من ذهن السامع، وترسيخ المعنى ونقشه في ذهنه، وهذا يتفق مع الغاية من المثل إذْ يؤتى به (يضرب) لتأكيد فكرة معينة.

4 ـ جاء توكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة أكثر من الخفيفة وذلك لما يتطلبه المقام من التشديد في التأكيد، فالنون إذا شددّت أصبحت أشدّ توكيداً.

5 ـ جاء توكيد الجملة الاسمية في الغالب بأداتي توكيدهما إنّ المشددّة، ولام التأكيد (اللام المزحلقة)[*] التي تدخل على الخبر، في الأكثرية العظمى من الأمثال، وهذا يدل على مبالغة السلف في التأكيد للمثل المنطوق؛ لأنّ اللام تؤكد مضمون الجملة وتقوّي معناها وتزيل الشك من ذهن السامع أكثر ممّا لو كانت إنّ مجردة منها.

---

(90) مجمع الأمثال، الميداني 453/2، كان كثير في حلقة البصرة ينشد أشعاره فمرت به عزة مع زوجها فقال لها زوجها أعضيه فاستحيت من ذلك فقال لها لتعضيه أو لأضربنك فدنت من تلك الحلقة فأعضته وذلك أنها قالت: كذا وكذا بفم الشاعر فعرفها كثير.

(91) المستقصى، الزمخشري، 341/1.

(92) مجمع الأمثال، الميداني، 146/1، البؤس: الشدة، التوس: إتباع له، والجوس: الجوع أي ألزمه الله هذه الأشياء.

(*) وتدخل لام الابتداء بعد إنّ المكسورة على أربعة أشياء: أحدها الخبر وذلك بثلاثة شروط: كونه مؤخراً، ومثبتاً، وغير ماضٍ، والثاني: معمول الخبر وذلك بثلاثة شروط أيضاً: تقدمه على الخبر، وكونه غير حالٍ، وكون الخبر صالحاً للام، والثالث: الاسم بشرط واحد هو أن يتأخّر عن الخبر، والرابع: الفصْلُ، وذلك بلا شرطٍ. ينظر: أوضح المسالك ابن هشام، 277/2.

ثانياً: أسلوب الحذف:

أسلوب الحذف من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال العربية المدروسة، والحذف جعله ابن جني تحت عنوان: "باب في شجاعة العربية" حيث قال: "اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف"[(93)]، وقد عرّفه إمام البلاغة فأبدع في بيان أسراره حيث قال: "هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن"[(94)] ويقول أحد الباحثين: "ومن طرائق الاقتصاد في الكلام أسلوب الحذف كله ومنه حذف المفعول به إذا فهم من السياق"[(95)]. "والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفساداً له"[(96)] و"أسلوب الحذف يُكسب الذهن تنظيماً واقتداراً على استيعاب البنية العميقة للكلام، وما يرتبط بها من تذوق المعاني وتوجيهها في الطريق السوي المستقيم توجيهاً دقيقاً"[(97)].

وللحذف أغراضه ومعانيه الكثيرة من الناحية البلاغية وفيما يلي عرضٌ لبعض هذه الأغراض:

حذف المسند إليه يكثر في السياقات التالية:

الاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر إذا كان ما يحذف يمكن أن يدركه المتلقي ويفهمه، دون أن يذكر في اللفظ لدلالة قرينة الحال أو قرينة المقام أو اللوازم الفكرية المنطقية، ضيق المقام عن إطالة الكلام، تيسير الإنكار عند الحاجة تعجيل المسرة بالمسند، تكثير الفائدة بإيجاد عدة احتمالات للمعنى، يحذف للعلم به، وقد يحذف للجهل به أو للخوف منه أو عليه، ويحذف حين لا يحقق ذكره غرضاً معنياً في الكلام.

---

(93) الخصائص، ابن جني ،360/2.

(94) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط ود.ت، ص 146.

(95) في جمالية الكلمة، دراسة جمالية بلاغية نقدية، د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق 2002م، ص 107.

(96) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطّلب، مكتبة لبنان، ط1 ،1994، ص313.

(97) أسلوب الحذف في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية، أيمن الشوّا، إشراف د. منى إلياس، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 2000 م، ص 4.

أما حذف المسند فيأتي في سياقات أهمها: الاحتراز عن العبث[98] ومن دواعي الحذف وأغراضه تخيّل العدل إلى أقوى الدليلين من العقل أو اللفظ، واختبار تنبّه المتلقي أو مقدار تنبهه، ورعاية السجع أو القافية والتعميم مع الاختصار في اللفظ، والتشويق بالإبهام[99].

ولعل الغرض الأهم الذي يخرج الحذف إليه هو ما أشرنا إليه سابقاً من الاقتصاد في الكلام ولاسيّما في مقام الأمثال وللحذف فوائدُ عديدة نوجزها فيما يلي:

التفخيم والإعظام: لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب، فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ومنها زيادة لذة: بسبب استنباط الذهن للمعنى، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن، ومنها زيادة الأجر: بسبب الاجتهاد في ذلك، طلب الإيجاز والاختصار، التشجيع على الكلام، موقعه في النفس في موقعه على الذكر، ومنها، الإطلاع على مزايا اللهجات العربية وتوجيه المظاهر الصوتيّة لها[100].

وأما شروط الحذف فقد تحدّدت بالقانون التالي: "تُضمر بعدما أضمرت فيه العربُ من الحروف والمواضع، وتُظهر ما أظهروا، وتُجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من الكلام، وممّا هو في الكلام على ما أجروا، فليس كل حرفٍ يحذف منه شيء ويثبت فيه"[101]

و"الأدلة الواضحة قد دلت على أن العرب مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد، وأنّ الكلام الذي ما وضع في الأصل إلاّ لفائدة قليلة في وجوب الفائدة الكثيرة، فربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبّر وربما خفيت"[102]. وفيما يلي عرضٌ لمظاهر الحذف التي تجلّت في الأمثال المدروسة:

حذف المرفوعات:

أولاً: الحذف في الاسم: 1 ــ حذف المبتدأ:

ويتضمن: حذف المبتدأ بعد ماا لخبر صفة له في المعنى: وقد جاء في قولهم:

ــ "كسير وعوير وكل غير خير"[103]

---

(98) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطّلب، ص 324 بتصرّف.

(99) أسلوب الحذف في اللغة العربية من الوجهة النحوية والبلاغية، أيمن الشوّا، ص 5 بتصرّف.

(100) المرجع نفسه، ص 4 بتصرّف.

(101) الكتاب، سيبويه، 266/1.

(102) أسلوب الحذف في اللغة العربية، أيمن الشوّا، ص 10.

(103) مجمع الأمثال، الميداني ،122/2. أول من قال ذلك أمامة بنت نشبة بن مرّة كان تزوّجها رجل من غطفان أعور يقال له خلف بن رواحة، فمكثت عنده زماناً حتى ولدت له خمسة ثم نشزت عليه ولم تصبر معه فطلّقها ثم إنّ أباها وأخاها خرجا في سفرٍ لهما فلقيهما رجل من بني سليم يقال له: حارثة بن مرة فخطب أمامة وأحسن العطية فزوجاها منه، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلمّا دخلت عليه رأته محطوم الفخذ فقالت المثل. يضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين، لا خير فيه البتّة.

أي زوجاي كُسير وعوير

ـ "مليحٌ قزيحٌ[104]".

أي فلانٌ مليحٌ قزيحٌ

ـ "مليحٌ بليحٌ"[105]

أي فلانٌ مليحٌ بليحٌ"

ـ "غلٌّ قملٌ[106]

هنا أيضاً حذف المبتدأ والتقدير هو غلٌّ قملٌ.

ـ "أصوصٌ عليها صوصٌ[107]"

أي هي أصوصٌ عليها صوصٌ

ـ "شقيٌّ لقيٌّ"[108]

ـ أي هو شقي لقيٌ.

ـ "تهويدٌ على ريُودٌ"[109]

أي هو تهويدٌ على ريودٍ

ـ "ذيابٌ في ثيابٍ"[110]

أي هم ذيابٌ

ـ "سوّاءٌ لوّاء"[111].

---

(104) الأمثال، أبي عكرمة الضبي، ص101.

(105) الأمثال، السدوسي،ص 76.

(106) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2، ذُكر سابقاً.

(107) المصدر نفسه 35/1، وفسّره بقوله: الأصوص الناقة الحائل السمينة، والصوص: اللئيم. يضرب للأصل الكـريم يظهر منه فرع لئيم ويستوي في الصوص الواحد والجمع.

(108) الأمثال، أبو عكرمة الضبي،ص 101 أي هو شقيٌّ لقيٌّ.

(109) المصدر نفسه، 200/1، التهويد: السكون والنوم، والريود: جمع ريد وهو الحرف الناتئ من الجبل يضرب لمن شرع في أمرٍ وخيم العاقبة.

(110) زهر الأكم، اليوسي، 7/3.

(111) مجمع الأمثال، الميداني، 475/1، ذكر سابقاً.

أي هُنّ يستوين ويلتوين

ـــ "الهيدان والريدان"[112]

أي هو الهيدان والريدان

ـــ "أبردُ من عبقرٍ وحبقرٍ"[113]

أي هو أبردُ من..

ـــ "أتيس من تيوس تويت"[114]

أي هو أتيسُ

ـــ "أتلفُ من سلف"[115]

أي هو أتلف

ـــ "أثبت في الدار من الجدار"[116].

أي هو أثبتُ.

ـــ "أحسنُ من بيضه في روضة"[117]

أي هو أحسنُ

ـــ "أخبُّ من ضبٍّ[118]"

أي هو أخبُ

ـــ "أسمعُ من سمع"[119].

---

(112) مجمع الأمثال، الميداني، 475/2، وفسّره بقوله: يقال للجبان هيدان من هيدته وهدته إذا زجرته فكأن الجبان زجر عن حضور الحرب والريدان من ريد الجبل وهو الحرف الناتئ منه. يضرب للمقبل والمدبر والشجاع والجبان.

(113) جمهرة الأمثال، العسكري، 210/1، وفسّره بقوله: قيل هما البَرْد وقيل إنّما هو عبّ ـــ قرّ والعبّ: البرد ـــ والقرّ: البْرد.

(114) الدرة الفاخرة، الأصبهاني ،97/1.

(115) المصدر نفسه، 97/1.

(116) المستقصى، الزمخشري، 40/1.

(117) التحفة الأدبية في الأمثال العربية، قصير،ص 180.

(118) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 192/1. وفسّره: أي أغشُّ في ذي عداوة لأنهم يعنون بذلك خدع الضبّ في حجره.

(119) المصدر نفسه، 218/1.

أي هو أسمعُ

ــ "أضيعُ من طاووس في ناووس"[120]

أي هو أضيعُ

ــ "أغربُ من غراب"[121]

أي هو أغربُ

ــ "أغرُّ من الدُّباء في الماء"[122]

أي هو أغرُّ

ــ "أمضى من السيل تحت الليل"[123]

أي هو أمضى.

ــ "أمضى من ترحةٍ بعد فرحةٍ"[124]

أي هو أمضى

ــ "أهونُ من صوفةٍ في بوهةٍ"[125]

أي هو أهونُ

ــ "أهونُ من ذنب الحمار على البيطار"[126]

أي هو أهونُ

ــ "أهون من تبنة على لبنة"[127]

أي هو أهونُ.

---

(120) الدرة الفاخرة، الأصبهاني، 277/1.

(121) المصدر نفسه، 321/1.

(122) مجمع الأمثال، الميداني، 17/2. وفسّره بقوله: والدُّباء: القرع ويقال في المثل أيضاً لا يغرّنك الدباء وإن كان في الماء. قيل إنّ أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً وكان حاراً فأحرق فمه فقال لا يغرّنك الدباء وإن كان نشوؤه في الماء. يضرب للرجل الساكن ظاهراً الكثير الغائلة باطناً.

(123) جمهرة الأمثال، العسكري، 185/2.

(124) المصدر نفسه، 185/2 لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ترح 43/2.التّرح: نقيض الفرح وترّحه الأمر: أحزنه.

(125) المصدر نفسه، 290/2 البوهة: ما طيرته الريح من دقيق التراب، والبوهة أيضاً: الرجل الذي لا خير فيه.

(126) المستقصى، الزمخشري، 275/1 لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة بطر 69/4 البَطْرُ: الشقّ وبه سمي البيطار بيطاراً: والبَيْطار: معالج الدواب.

(127) مجمع الأمثال، الميداني، 483/2 أي هو أهونُ.

ــ "أوسعُ من هند مند"[128]

أي هو أوسعُ

1 ــ حذف المبتدأ للاكتفاء بقرنية الحال: وذلك في قولهم:

ــ "هينٌ لينٌ وأودت العين"[129].

المثل كلام دغة المحمّقة[130]. حين حسدها صواحبها على أنساع[*] كنّ لها جدد جعلت تئط إذا ركبت بعيرها فقلن لها: ويحك يا دغة إنّ أنساعك تئط، وإذا سمع أطيطها الرجال قالوا: هذا ضُراط دغة لو أنك دهنتها فهو ألين لها وأبقى فيذهب عنك هذا الذي تخافين قالت فإني فاعله، فلمّا نزلت حملت النساء إليها السمن في الأقداح فلمّا صار السمن بيدها أخذت نسعاً من أنساعها فقطرت على بعض نواحيه السمن فاسوّد ولان فعند ذلك قالت دغة: هينٌ ولينٌ وأودت العين[131]. تقول ذهب حسنه وحمرته ونبت العين عنه.

فالقائلة هنا استغنت بدلالة الحال فحذفت المسند إليه حذفاً جائزاً منه تناسب حال نسعها الأولى التي تبدّلت، أي نسعي هينٌ.[132]

ــ حذف المبتدأ لدلالة وصفه عليه: من مثل قولهم:

ــ "لكل ساقطةٍ لاقطةٌ"[133]

أي لكل كلمةٍ ساقطةٍ أذنٌ لاقطة.

ــ حذف المبتدأ في جواب الشرط:

ومن ذلك قولهم:

---

(128) التحفة الأدبية في الأمثال العربية، قصير،ص 178 نهر بسجستان قيل إنه ينصب إليه ألف نهر وينشق منه ألف نهر ولا تظهر فيه زيادة ولا نقصان.

(129) الأمثال، المفضّل الضبيّ، ص172.

(130) هي دغة بنت معنج كانت امرأة من جرهم فتزوّجها رجل منهم قبل أن تبلغ المحيض، فحملت ولم تشعر بالحمل لحداثة سنها، فأخذها الطلق وأهلها سائرون، فنزلت منزلاً فانطلقت تبرز، فولدت وهي تبرز، فصاح الصبي، فرجعت إلى أمها فقالت: يا أماه هل يفتح الجعر فاه قالت: نعم ويدعو أباه فذهب مثلاً فقيل أحمق من دغة، المصدر نفسه، ص 171.

(*) الأنساع: الحبال.

(131) الأمثال، المفضّل الضبيّ،ص 172.

(132) الأمثال العربية القديمة، محمّد جمال صقر، ص 65.

(133) مجمع الأمثال، الميداني، 185/2 فُسّر سابقاً.

ـ "من لا يعلك فلا يهلك"(134)

أي فهو لا يهلك.

ـ "إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة" (135)

أي فالمحاجزة قبل المناجزة

ـ "إن لم يكن وفاق ففراق"(136)

أي إن لم يكن حب في قرب فالوجه المفارقة.

ـ "من يجع يشجع ومن يسغب يشغب"(137).

والتقدير فهو يشجع وكذلك فهو يشغب.

ـ حذف المبتدأ في صلة (من):

ـ "صنعة من طبّ لمن حبّ"(138) أي لمن هو حبّ

ـ "ما يعرف من يهرّه ممّن يبرّه"(139)

أي من هو يهرّه ممّن هو يبرّه.

ـ "لا يسرك مَنْ يغرّك" (140)

والتقدير من هو يغرّك.

---

(134) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1 لم يذكر حول معناه شيء.

(135) المصدر نفسه، 77/1. وفسّره: يضرب في تخيل الفرار ممّن لا طاقة لك به، والمجاجزة من قولهم: حجزت بين الشيئين والمناجزة: سرعة القتال.

(136) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1.

(137) المصدر نفسه، 371/2.

(138) المصدر نفسه، 551/1.

(139) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.

(140) تمثال الأمثال، العبدري، 541/2 وفسّره: قاله يزيد بن عبد المدان لابن جفنة وصفة ذلك أن يزيد هذا قدم على ابن جفنة ومعه عمرو بن معدي كرب ومكشوح المرادي زواراً فلقوا عنده وجوه قيس ومُلاعب الأسنة عامر بن مالك فسأله ابن جفنة عن أشياء ثم أقبل على القيسيين فسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه، فنظر ابن جفنة إلى يزيد بن عبد المدان فقال له ما تقول أنت يا ابن عبد المدان فقال له يزيد: يا خير الفتيان ليس صغيراً من منع منك العراق وشركك في الشام وقيل له أبيت اللعن وقيل لك: يا خير الفتيان وألفى أباه ملكاً وألفيت أباك ملكاً فلا يسرّك من يغرّك.

ــ حذف المبتدأ بعد لكن الاستدراكيّة وذلك في قولهم:

ــ "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه" [141]

كأنه قال لكن هو من قواصيه.

ــ حذف المبتدأ بعد أو العاطفة: وذلك في قولهم:

ــ "إنّما هو الفجر أو البجر"[142]

أي أو هو البجر

2 ــ حذف الخبر:

ــ حذف خبر ربّ وذلك في قولهم:

- "ربّ حثيثٍ مكيثٍ"[143]

جاء الاسم بعد ربّ مرفوع محلاً على أنه مبتدأ وخبره محذوف وجوباً.

3 ــ حذف الفاعل:

يأتي حذف الفاعل لأغراضٍ لفظية وأخرى معنويّة، أمّا اللفظيّة فهي الإيجاز، وإصلاح السجع، وتصحيح النظم، وأمّا المعنوية فهي العلم به، جهله، إبهامه، تحقيره، كراهة سماعه، الخوف منه، نسيانه[144].

ومن ذلك حذف الفاعل في باب النائب عن الفاعل في مثل قولهم:

ــ "فُتح صدرك بعلم عُجرك وبجرك"[145]

والتقدير فتح فلانٌ صدره.

ــ "كما تدين تدانُ"[146].

جاء نائب الفاعل ضميراً مستتراً وجوباً تقديره أنت.

---

(141) المستقصى، الزمخشري، 304/2.

(142) مجمع الأمثال، الميداني، 94/1.

(143) المصدر نفسه، 421/1.

(144) أسلوب الحذف في اللغة العربيّة، أيمن الشوّا، ص 124 بتصرّف.

(145) من نثر الدرّ، الآبي، 94/4 وفسّره: العجرة: نفخة في الظهر، ويقال هي العروق المتعقّدة في الجسد، والبجر العروق المتعقدة في البطن، والمراد أخبرته بكل شيء ولم أستر عنه شيئاً.

(146) مجمع الأمثال، الميداني، 132/2.

ـــ "إذا وُقِيَ الرجلُ سرّ لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وُقِي الشّر كلّه"[147].

والتقدير وقى الله الرجلَ.

وكذلك حُذف الفاعل ولم يجر له ذكر في قولهم:

ـــ "من قَلّ ذَلّ ومن أَمَرَ فَلّ"[148]

والتقدير من قلّ أنصاره غلب ومن كثر أقرباؤه فلّ أعداؤه.

ـــ استتار الفاعل:

"قد يضمر الفاعل في نفس المتكلّم فلا يذكره للعلم به، ومعنى استتاره أنّ المتكلّم يمكن أن يضمر الفاعل ويقدّره المعرب فيها، لأنها تدل عليها دلالة طبيعية، ولا يعني ذلك أنّ الفاعل يستتر فيها استتاراً مادياً"[149].

ـــ "أقصرَ لمّا أبصر"[150]

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "ألصقَ الحسّ بالإسّ"[151]

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "ألحقَ الحسّ بالإسّ"[152]

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "جاءَ بالصُقر والبُقر"[153]

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "جاءَ بالطمّ والرّم"[154]

---

(147) المستقصى، الزمخشري، 129/1 وفسّره: أي شر لسانه وبطنه وفرجه.

(148) مجمع الأمثال، الميداني، 345/2.

(149) أسلوب الحذف في اللغة العربية، أيمن الشوّا، ص 125.

(150) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1 فسّر سابقاً.

(151) المصدر نفسه، 131/1.

(152) مجمع الأمثال، الميداني، 203/2.

(153) زهر الأكم، اليوسي، 65.

(154) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1.

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "جاءَ يضرب أصدريه وأزدريه"[155]

الفاعل هنا ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "لا تَهرِفْ بما لا تعرف"[156]

الفاعل هنا ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "دَرّبِ البهمَ بالرّم"[157]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "رضيَ من الوفاء باللّفاء"[158]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "شَمّرْ وائتَزِرْ والبسْ جلد النمر"[159]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "جاءَ بأمّ الربيق على أريق"[160]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـــ "اسعَ بجدّك لا بكدّك"[161]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "لا يُميّزُ بين التين والسّرقين"[162]

---

(155) الوسيط، الواحدي، 95.

(156) مجمع الأمثال، الميداني، 220/2 وفسّره: الهرف: الإطناب في المدح، يضرب لمن يتعدى مدح الشيء قبل تمام معرفته.

(157) المصدر نفسه، 374/1 وفسّره: أي عوّدها الرعي تدرب به، يضرب في تأديب الرجل ولده.

(158) المصدر نفسه، 423/1 وفسّره: الوفاء: التوفية يقال: وفيته حقه توفية ووفاءً، واللفاء: الشيء الحقير. يضـــرب لمن رضي بالتافه الذي لا قدر له دون التام الوافر.

(159) المصدر نفسه، 506/1.

(160) المصدر نفسه، 233/1.

(161) المستقصى، الزمخشري، 168/1.

(162) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "إن لم تَغلِبْ فاخلب"[163]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ــ "ادفعْ الشرّ بعودٍ أو عمودٍ"[164]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ــ "أفرَطَ فأسقَطَ"[165]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "لا يَعرفُ محساه من مفساه"[166]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "جاءَ بالضيح والريح"[167]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "لم يَفُتْ من لم يَمُتْ"[168]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ما تُحسنُ تعجوه ولا تنجوه"[169]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ــ "قَدمَ فما جاء بهلّة ولا بلّة"[170]

---

(163)مجمع الأمثال، الميداني ، 48/1.

(164) المستقصى، الزمخشري، 117/1. وفسّره: أي إذا أتاك السائل فلا تردّه إلاّ بعطية كثيرة أو قليلة لتقطع بها لسانه عن ذلك.

(165) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1.

(166) مجمع الأمثال، الميداني، 275/2.

(167) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 59.

(168) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(169) المصدر نفسه، 318/2 وفسّره: أي تسقيه اللبن، وتنجوه من النجو يقال للدواء إذا أمشى الإنسان قد أنجاه، يضرب للمرأة الحمقاء.

(170) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 23. وفسّره: هلّة: أي فرج، وبلّة: أي بأدنى بللٍ من الخير.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "لا يَعرِفُ الحيّ من الليّ"[171]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ألقَى عليه أجرامه وأجرانه"[172]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ما يَعرِفُ من يهرّه ممّن يبرّه"[173]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ما يَعرِفُ الحوّ من اللّو"[174]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ما يَعرِفُ الحيّ من الليّ"[175]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "ما حجَّ ولكنّه دجّ"[176]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ــ "أعوذُ بالله من السّامة والهامّة"[177]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره أنا.

ــ "عند التصريح تُرِيح"[178]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ــ "جاءَ بالهيء والجيء"[179]

---

(171) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2.

(172) من نثر الدر، الآبي، 94/4. وفسّره: أي هواه، الجرم: الجسد، والجرن: النفس.

(173) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.

(174) مجمع الأمثال، الميداني، 313/2.

(175) المصدر نفسه، 313/2.

(176) المصدر نفسه، 311/2.

(177) الأمثال، أبو عكرمة الضبّي، 103.

(178) مجمع الأمثال، الميداني، 657/1.

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "جاءَ بالشّقر والبقر وببنات غير"[180]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "ذهبَ في الأخيب الأذهب"[181]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "شَرِبَ فما نقع ولا بضع"[182]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "يحفُّ له ويرفُّ"[183]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "لجّ فحجّ"[184]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "تركَ ما يسوْءُه وينوْءُه"[185]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ـ "جاءَ بعد الهيط والميط"[186]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

---

(179)مجمع الأمثال، الميداني ، 238/1.

(180) المصدر نفسه، 242/1.

(181) المصدر نفسه، 387/1 وفسّره: وذهب في الخيبة الخيباء إذا طلب ما لا يجدي ولا يجد عليه طلبه شيئاً، بل يرجع بالخيبة.

(182) المصدر نفسه، 518/1.

(183) جمهرة الأمثال، العسكري، 332/2. وفسّره بقوله: يقال إذا كان لا يدري من هو ولا يعرف أبوه، وهو يضرب لمن يظهر ويثب على الناس من غير أن يكون له قديم.

(184) مجمع الأمثال، الميداني، 191/2.

(185) المصدر نفسه، 191/1. ذكر سابقاً وهنا نذكّر به: إذا ترك للورثة ماله، قيل كان المحبوبي ذا يسار فلما حضرته الوفاة أراد أن يوصي فقيل له: ما نكتب؟ فقال اكتبوا ترك فلانٌ يعني نفسه ما يسوءه وينوءه مالاً يأكله ورثته ويبقي عليه وزره.

(186) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، 94. وفسّره: الميط: الأمر الشديد.

ـــ "حافظْ على الصديق ولو في الحريق"[187]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "اطلبْ ذاك وخلاك ذمٌّ"[188]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "رماه بسكاته وصماته"[189]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره هو.

ـــ "كما تَدينُ تُدانُ"[190]

الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

ـــ "يضرِبُ الماشَ بالدرماش"[191]

الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو.

ففي جميع الأمثال السابقة جاء الفاعل مقدّراً تقديراً ذهنياً من قبل المجرب ومضمراً في نفس المتكلم للعلم به.

حذف المنصوبات:

1 ـــ حذف المفعولين معاً في باب الأفعال الناسخة وذلك في قولهم:

"لا دريت ولا ائتليت"[192]

فقد حذف مفعولي دريت.

2 ـــ حذف المصدر:

ـــ حذف المصدر وقيام الكاف أو كما مقامه:

وذلك في قولهم: "كما تَدين تُدان"[193]

---

(187) مجمع الأمثال، الميداني، 283/1.

(188) المستقصى، الزمخشري، 224/1.

(189) جمهرة الأمثال، العسكري، 404/1.

(190) مجمع الأمثال، الميداني، 132/2.

(191) المصدر نفسه، 512/2.

(192) الوسيط، الواحدي، 186.

(193) المصدر نفسه، 132/2.

فالكاف هنا في كما في محل نصب نائب مفعول مطلق، أي تدان ديناً مثل دينك.

ــ حذف المصدر وقيام صفته مقامه:

وذلك في قولهم: ــ "ما ذقت عضاضاَ ولا مضاضاً ولا قضاماً ولا لماظاً"[194]

والتقدير ما طعمت طعاماً يعضّ أو يمضغ أو يقضم، أو يتلمظ به.

حذف الإضافة:

1 ــ حذف المضاف:

ــ "أوسع من هند مند"[195]

والتقدير أوسع من نهر هند مند.

ثانياً: الحذف في الفعل:

1 ــ حذف الفعل مع إضمار الفاعل وقد جاء ذلك في قولهم:

ــ "مولاكَ وإن عناكَ"[196]

فهنا حذف الفعل مع تقدير الفاعل بدليل رواية قائل المثل في التفسير، والتقدير، احفظ وارعَ مولاك.

ــ "جدّكَ لا كدّكَ"[197]

هنا أيضاً حذف الفعل مع تقدير الفاعل والتقدير ابغِ جدّك لا كدّك.

ــ "صنعة من طبّ لمن حبّ"[198]

وهنا كذلك حذف الفعل والتقدير اصنع هذا الأمر لي صنعة من طبّ لمن حبّ.

ــ "الرفيق قبل الطّريق"[199]

---

(194) الأمثال، أبي عبيد القاسم بن سلاّم، 390 وفسّره: يعني ما يعضّ أو يمضغ أو يقضم أو يتلمظ به.

(195) التحفة الأدبية في الأمثال العربية، قصير، 178 وفسّره: نهر بسجستان قيل إنه ينصبّ إليه ألف نهر وينشق منه ألف نهر ولا تظهر فيه زيادة ولا نقصان.

(196) مجمع الأمثال، الميداني، 350/2 وفسّره: أي هو وإن جهل عليك فأنت أحق من تحمل عنه، أي استبق أرحامك، ومولاك في موضع النص على تقدير احفظ أو ارعِ مولاك.

(197) المصدر نفسه، 237/1 فُسّر سابقاً.

(198) المصدر نفسه، 551/1 فُسّر سابقاً.

(199) المصدر نفسه، 423/1 فُسّر سابقاً.

والتقدير حصّل الرفيق أولاً وأخبره، فربّما لم يكن موافقاً ثم يكون السفر.

2 ــ حذف كان مع اسمها أو خبرها في قولهم:

ــ "إلاّ خطيّةٌ فلا أليةٌ"[200]

فهنا حذفت كان مع اسمها على رواية النصب ويكون تقدير الكلام إن لا أكن عنده حظية فلا أكون أليّة، وحذفت كان مع خبرها على رواية الرفع ويكون تقدير الكلام إن لا تكن له في الناس حظيّة فإنّي غير أليّة.

ويقول في ذلك أحدهم: "إن لا خطيّة فلا أليّة أي إن لا تكن له في الناس حظيّةٌ فإنّي غير أليّة، كأنها قالت في المعنى، إن كنت ممّن لا يُحظى عنده فإنّي غير أليّة، ولو عنت بالحظيّة نفسها لم يكن إلاّ نصباً إذا جعلتَ الحظيّة على التفسير الأول"[201]

3 ــ حذف الفعل لدلالة أدوات المعاني عليه:

ــ حذف الفعل الذي تتعلّق به ربّ:

يقول أحدهم: "واعلم أنّه لا بُدّ للنكرة التي تعمل فيها ربّ من صنعة إما اسمٍ وإما فعلٍ لا يجوز أن تقول: ربّ رجلٍ وتسكت حتى تقول: ربّ رجلٍ صالحٍ أو تقول: رجلٍ يفهم ذلك"[202]

وقد جاء ذلك في قولهم: "ربّ حثيثٍ مكيثٍ"[203]

ــ "ربّ دميمٍ غير ذميمٍ"[204]

ــ "ربّ عطبٍ تحت طلبٍ"[205]

ــ حذف كان بعد لو الشرطيّة: وذلك في قولهم:

ــ "حافظ على الصديق ولو في الحريق"[206].

والتقدير ولو كان في الحريق

---

(200)مجمع الأمثال، الميداني ، 29/1.

(201) الكتاب، سيبويه، 261/1.

(202) الأصول، ابن السراج، 418/1.

(203) مجمع الأمثال، الميداني، 421/1.

(204) خاص الخاص، الثعالبي، 49.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 447/1.

(206) المصدر نفسه، 283/1.

4 ــ حذف الجملة:

ــ حذف جملة القسم والجواب لأفعلنّ:

يقول أحدهم: "وسألته أي الخليل عن قوله لتفعلنّ إذا جاءت مبتدأةً ليس قبلها ما يحلف به فقال إنّما جاءت على نية اليمين وإن لم يتكلّم بالمحلوف به"[207].

وقد جاء ذلك في قولهم: "لألحقنّ حواقنك بذواقنك"[208] فهنا حذفت جملة القسم لدلالة اللام عليها والفعل المستقبل المؤكّد بالنون.

وبعد هذا العرض يمكننا استنباط النتائج الآتية:

1 ــ حذف الاسم في الأمثال العربية كان شائعاً في المسند إليه أكثر من المسند، وهذا ما يمكن تفسيره بكثرة التداول من جهة، وحثّ السامع على إعمال ذاكرته لمعرفة الفاعل أو تذكّر قصته من جهة أخرى، ويمكن تفسير ذلك أيضاً بحرص العرب على عدم التشهير بالآخرين ولاسيما أنّ معظم الأمثال قيلت في مواقف ساخرة، ومنها ما قيل في الصفات والأخلاق لشخصيات معروفة بين العرب. يقول أحد الباحثين: "حذف المسند على وروده في كلام العرب وفي آي الذكر الحكيم، فهو أقلّ بكثير من حذف المسند إليه فضلاً عن أن حذف المسند إليه أقل خطراً في وظيفة الجملة فبالمسند تتم الفائدة غالباً ولاسيما في الجملة الاسمية"[209] وهذا القول يؤكد النتيجة التي قلناها آنفاً.

2 ــ حذف المسند (الفعل) في الأمثال العربية المدروسة جاء للإيجاز والاختصار وتحقيق الاقتصاد في الكلام وهنا نذكّر بقول أحد الباحثين: "فالإيجاز بالحذف عجيب الأمر شبيه بالسحر وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"[210].

3 ــ لوحظ شيوع أسلوب الحذف في الأمثال المدروسة في الاسم بالدرجة الأولى يليه الفعل، والأسماء كما هو معلوم تدل على الثبات والديمومة وهو ما كان له أبلغ الأثر في ثبات الأمثال في الأذهان وديمومتها حتى يومنا هذا.

---

(207) الكتاب، سيبويه، 106/1.

(208) مجمع الأمثال، الميداني، 165/2

(209) في جمالية الكلمة، د.حسين جمعة، ص 97.

(210) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 146.

ثالثاً: أسلوب النفي:

أسلوب النفي من الأساليب التي شاع استخدامها في الأمثال المدروسة وسنحاول تسليط الضوء على هذا الأسلوب من خلال الأمثال المدروسة. يقول أحدهم: "الفتح الذي يشبه النصب هو ما جاء مطرداً من الأسماء النكرات المفردة ولا تخصّ اسماً بعينه من النكرات إذا نفيتها (بلا) وذلك قولك: لا رجل في الدار ولا جارية فأي اسم نكرة ولي (لا) وكان جواباً لمن قال: هل من غلام فهو مفتوح، فإن دخلت (لا) على ما عمل بعضه في بعض من معرفة أو نكرة لم تعمل هي شيئاً إنما تفتح الاسم الذي يليها إذا كانت قد نفت ما لم يوجبه موجب. فأما إذا دخلت على كلام قد أوجبه موجب فإنها لا تعمل شيئاً وإنما خولف بها إذا كانت تنفي ما لم يوجب، وكل منفي فإنما ينفي بعد أن كان موجباً"[211].

و"النفي بابٌ من أبواب المعنى يهدف به المتكلّم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضدّه، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشرة من المقابلة أو ذكر الضدّ، أو بتعبيرٍ يسود في مجتمع ما فيقترن بضد الإيجاب والإثبات"[212].

وللنفي أدوات في العربية ندرجها فيما يلي:

1 ــ لا: وهي أدلّ الأدوات على النفي لأنها الأصل في النفي مع (ما) ولا أشمل نفياً من (ما) فهي تنفي ما بعدها أحياناً نفياً شاملاً مستغرقاً و(لا) لها مواضع في الكلام مختلفة فتقع على الأسماء في نحو قولك: ضربت زيداً لا عمراً، وتقع على الأفعال في القسم وغيره، تقول لا يخرج زيد وأنت مخبر، وتكون للنهي في نحو قولك: لا ينطلق عبد الله، وتجزم بها الفعل فيكون بجزاء قولك في الأمر: ليخرج عبد الله، وقد تكون من النفي في موضع آخر وهو نفي، قولك: إيتِ وعمراً، فإذا أردت نفي هذا قلت. لا تأتِ زيداً وعمراً، لم يكن هذا نفيه على الحقيقة لأنه إن أتى أحدهما لم يعصه لأنه نهاه عنهما جميعاً، فإن أراد أن تمتنع منهما معاً فنفي ذلك قولك: لا تأتِ زيداً ولا عمراً[213].

ولا "لا تعمل إلاّ في النكرات بشرط أن يكون الخبر مؤخراً منفياً نحو قولك: لا رجلٌ أفضلَ منك، فإن كان موجباً أو مقدماً لم تعمل، نحو قولك: لا أفضل منك رجلٌ ولا امرأة، وسبب ذلك أنها

---

(211) الأصول في النحو، ابن السراج، 379/1

(212) في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، ص 154.

(213) الأصول في النحو، ابن السراج، 401/1.

إنما تعمل إذا كانت خاصة بالاسم ولا تكون خاصة حتى تكون للنفي العام فتكون في جواب السؤال العام نحو قولك: هل من رجلٍ قائم، فيلزم دخولها من أجل ذلك على الاسم النكرة"[214]

ويقول أحدهم: "اعلم أن لا لنفي الحكم عن مفرد بعد إيجابه لمتبوع، فلا يجيء إلاّ بعد خبر موجب أو أمر ولا يجيء بعد الاستفهام والتمني والعرض والتحضيض ونحو ذلك، ولا بعد النهي تقول: ضربت زيداً لا عمراً وأضرب زيداً لا عمراً"[215]. يقول أحد الباحثين: "وأما النفي في الجملة الاسمية فالملاحظ أنّه من دلالة التركيب كلّه لا من دلالة ألفاظ النفي وحدها، وتفسير ذلك أنّ استعمال (لا) مثلاً يرتبط بصفتين شكليتين في الاسم التالي لها لا يحدثان مع سواها. وهما كون الاسم نكرة ولزومه الفتحة دون تنوين، ولمّا كانت هاتان الصفتان لا توجدان في حالة أخرى غير حالة النفي بـــ (لا) أمكننا القول أنّ النفي هنا لا يتميز باستعمال لا وحدها بل بوجود صفات شكلية في بقية أجزاء التركيب كذلك"[216]

وقد جاءت (لا) في الأمثال المدروسة عاملة في الأسماء والأفعال أما عملها في الاسم فقد جاء في قولهم:

ــ "لا أصل له ولا فصل"[217]

فهنا نرى أنّ لا قد أفادت النفي وقد تحققت فيها شروط ذلك.

ــ "المنيّة ولا الدنيّة[218]"

هنا كذلك نلحظ أن (لا) أفادت النفي من خلال تسلّط النسبة على المسند والمسند إليه. فالمسند هنا محذوف وهو الفعل فضّل والمسند إليه هو الدنيّة.

ــ "لا حمَّ ولا رمَّ أن أفعل كذا"[219]

هنا أيضاً نرى أن النفي قد تحقق من تسلط النسبة على المسند والمسند إليه.

ــ "لا عبابَ ولا أباب"[220]

---

(214) المُقّرِب، ابن عصفور، 104/1

(215) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 378/2

(216) اللغة والتطوّر، د.عبد الرحمن أيّوب، مطبعة الكيلاني، د.ط ، 1969 ص 126

(217) مجمع الأمثال، الميداني، 250/2.

(218) المصدر نفسه، 336/2، وفسّره بقوله: أي فضّل المنية على العار، ويجوز الرفع أي المنية أحبّ إليّ ولا الدنيـــة أي وليست الدنيّة ممّا أحبّ وأختار.

(219) المصدر نفسه، 245/2، أي لا بُدّ من ذلك.

هنا كذلك أفادت لا النفي وقد شاركتها الصفات الشكلية السابقة والنفي الذي أفادته (لا) جاء من تسلط النسبة على المسند والمسند إليه وهذا ما يندرج على جميع الأمثال التالية.

ــ "لا في العير ولا في النفير"[221]

ــ "لا خلّة مع عيلة"[222]

ــ "لا جِنَّ بالبغضاء والنظر الشزر"[223]

فهنا نلحظ كذلك مجيء (لا) وقد أفادت معنى النفي بمشاركة خصائص شكلية إضافية هي مجيء اسمها نكرة ولزومها الفتحة، وهما خاصتان انفردت بهما لا عن غيرها من أدوات النفي.

وكذلك جاءت لا عاملة في الأفعال وفي ذلك يقول أحدهم: "ومن الملاحظ أنّ النفي في الجملة الفعليّة ليس من دلالة التركيب بل من دلالة الألفاظ المستخدمة في النفي مثل ما، لم، لن، لا، لمّا، فلا توجد في حالات نفي الفعل علامة شكلية ترتبط بدلالة النفي وجوداً وعدماً وتختصّ بالنفي دون سواه من الدلالات الأخرى"[224]

وهذا ما يمكننا ملاحظته في الأمثال التالية:

ــ "لا أفعل ذلك ما اختلف الملوان والأجدّان والفتيان والعصران والجديدان[225]"

ــ "لا حاءَ ولا ساءَ"[226]

ــ "لا دريت ولا ائتليت"[227]

ــ "لا يعرف القطاة من اللطاة"[228]

---

(220)مجمع الأمثال، الميداني ، 253/2. وفسّره: يقال عن الظباء إذا أصابت الماء لم تعب فيه، وإن لم تصبه لم تأبــب له، أي لم تتهيأ لطلبه.

(221) المصدر نفسه، 223/2، وفسّره: ويضرب هذا للرجل يحطّ أمره ويصغر قدره. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: العير: 621/4 كل ما اعتير عليه من الإبل والحمير والبغال ،والنفير: 224/5 الجماعة من الناس.

(222) العقد الفريد ابن عبد ربه، 80/3،الخلّة: الصداقة، العيلة: الفقر.

(223) مجمع الأمثال، الميداني، 248/2، أي لا يخفي نظر المبغض، لا جِنّ معناها: لا خفاء والبغضاء: البغض، والنظر الشزر: نظر الغضبان بمؤخر العينين.

(224) اللغة والتّطور، د. عبد الرحمن أيوب ، ص 127.

(225) المجهول،ص100، وقال: ومعنى جميعه: الليل والنهار.

(226) مجمع الأمثال، الميداني، 243/2،و فسّره: أي لم يأمر ولم ينه، يضرب للرجل إذا بلغ النهاية في السن.

(227) الوسيط، الواحدي، 186.

(228) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس ،ص129، وفسّره: القطاة: موضع الردف، واللطاة: الجبهة، يضرب للأحمق.

ـــ "لا يعرف محساه من مفساه"[229]

ـــ "لا يعدم الخيار من استشار"[230]

ـــ "لا يسرّك من يغرّك"[231]

ـــ "لا يميز بين التين والسرقين"[232]

ـــ "لا ينبت البقلة إلاّ الحقلة"[233]

ـــ "لا ينفع حَذَر من قَدَر"[234]

ـــ "من كلا جنبيك لا لبّيك"[235]

ـــ "المعزى تُبهي ولا تُبني"[236]

ـــ "لا أفعل ذلك ما اختلف الجديدان والملوان والفتيان"[237]

ـــ "لا أفعله ما خالفت درّة جرّة"[238]

ـــ "لا أفعل كذا ما اختلفت الدِرّة والجِرّة"[239]

ـــ "لا آتيك سجيس عُجيس"[240]

ـــ "لا آتيك سجيس غُبيس"[241]

ـــ "لا آتيك السمر والقمر"[242]

---

(229) مجمع الأمثال، الميداني ،275/2.

(230) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 80/3.

(231) تمثال الأمثال، العبدري ،541/2، وقال: قاله يزيد بن عبد المدان لابن جفنة في موقف عابه فيه وصغرّه.

(232) مجمع الأمثال، الميداني،275/2.

(233) المصدر نفسه، 233/2.

(234) المصدر نفسه، 2/ 244، ويروى لا ينفعل من رديء حذر.

(235) المصدر نفسه، 332/2، ويروى جانبيك وهما سواء يضرب للمخذول.

(236) المصدر نفسه، 290/2 الإبهاء: الخرق والإبناء: أن تجعله بانياً ، يضرب لمن يفسد ولا يصلح.

(237) من نثر الدر، الآبي، 122/3، الملوان: الليل والنهار.

(238) المجهول 100، لأنّ الدرّة تسفل إلى الضرع، والجرّة ترتفع إلى الفم ويروى ما خالفت أي اجتمعت.

(239) مجمع الأمثال، الميداني، 2/ 237 و ذلك أن الدرة تسفل و الجرة تعلو فهما مختلفان.

(240) المصدر نفسه، 232/2.

(241) الأمثال، أبو عبيد البكري، 510.

ـــ "لا تنفع حيلة مع غيلة"[243]

ـــ "من نطاته لا يعرف قطاته من لطاته"[244]

ـــ "من لا يعلك فلا يهلك"[245]

فهنا نرى أنّ (لا) في جميع الأمثال السابقة الواردة بالصيغة الفعلية قد أفادت معنى النفي وحدها دون أن تشاركها خصائص شكلية في التركيب أو المثل بخلاف الجملة الاسمية.

2 ـــ ما: "اعلم أنّ الأصل في (ما) أن لا تعمل كما في لغة بني تميم، إذ قياس العوامل أن تختص بالقبيل الذي يعمل فيه من الاسم أو الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها و(ما) مشتركة بين الاسم والفعل، وأما الحجازيون فإنهم أعملوها مع عدم الاختصاص لقوة مشابهتها لليس؛ لأن معناهما سواء في الحقيقة، وذلك لأنّ معنى ليس في الأصل ما كان، ثم تجردت عن الدلالة على الزمان فبقي مفيداً نفي الكون ومعنى ما مجرد النفي، ومعلوم أن نفي الشيء بمعنى نفي كونه سواء من حيث الحقيقة، وعند النحاة أنّ ما وليس كلاهما لنفي الحال[246]. ويقول آخر: "واعلم أنّ (ما) لها شبهان عامٌ وخاصٌ، فالعام شبهها بالحروف التي لا تخص الاسم بالدخول عليه، إذ هي غير خاصة بالاسم، والخاص شبهها (ليس) في أنها للنفي، وأنها إن دخلت على المحتمل خلصته للحال، كما أن ليس كذلك، فبنو تميم راعوا الشبه العام فلم يعملوها. وأهل الحجاز ونجد راعوا الشبه الخاص فأعملوها عمل ليس، إلا أنهم لم يعملوها عملها إلاّ بشروط ثلاثة: أحدها: أن يكون الخبر غير موجب، والآخر أن لا يتقدم الخبر على اسمها وليس بظرف ولا مجرور، والثالث أن لا يُفصل بينها وبين الاسم بأن الزائدة"[247]، ويقول آخر: "ومن الحروف (ما) وهي تكون نفيُ هو يفعلُ إذا كان في الحال وتكونُ كليس في لغة أهل الحجاز وتكون توكيداً لغواً تغيرُ الحرف عن عمله نحو: إنما وكأنما ولعلما جعلتهنّ بمنزلة حروف الابتداء"[248]، ويقول آخر: "(ما وليس) الحق أنهما مطلق النفي كما يجيء في الأمثال الناقصة، فلما كان قياس إعمالها ضعيفاً، انعزلت لأدنى عارض، فمن ذلك مجيء إن بعدها، وإنما عزلتها لأنها وإن

---

(242) مجمع الأمثال، الميداني، 231/2. وفسّره: السمر عندهم الظلمة والأصل في هذا أنهم كانوا يجتمعون فيسمرون في الظلمة ثم كثر الاستعمال حتى سمّوا الظلمة سمراً.

(243) المستقصى، الزمخشري، 260/2، يضرب للصاحب الغاش الذي تأمنه وهو يغتالك.

(244) مجمع الأمثال، الميداني،336/2، وفسّره: النطاة: الحمق، ويروى من رطاته وهي الحمق أيضاً،و القطاة: الردف، واللطاة: الجبهة.

(245) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1.

(246) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 267/1.

(247) المُقَرِب، ابن عصفور، ج1 /102.

(248) الأصول في النحو، ابن السراج، 210/2.

كانت زائدة، لكنها تشابه إن النافية لفظاً فكأن ما النافية دخلت على نفي، والنفي إذا دخل على النفي أفاد الإيجاب، فصارت إن كـــ إلا الناقصة لنفي مافي نحو مازيد إلاّ منطلق"[249]

وقد جاءت (ما) لنفي الاسم في مثل قولهم:

ــ "ما أنت بخيّة ولا سبيّة"[250]

ــ "ما به نبضٌ ولا حيضٌ"[251]

ــ "ما دونه شقذٌ ولا نقذٌ"[252]

ــ "ما عليها خربصيصة ولا هلبسيسة"[253]

ــ "ما عنده شوبٌ ولا روبٌ"[254]

ــ "ما عنده حضض ولا بضض"[255]

ــ "ما عنده طائلٌ ولا نائلٌ"[256]

ــ "ما عنده خير ولا مير"[257]

فهنا نلحظ استخدام ظرف المكان الذي يفيد "أنّ الموصوف واقع بين شرين، وأراد أن ينفي عن الموصوف امتلاك كثيرٍ أو قليلٍ فاستخدام ظرف المكان الذي يفيد أنّه ليس كثير ولا قليل عند هذا الموصوف"[258].

ــ "ما في فيه حاكّة ولا تاكّة"[259]

ــ "ما له عافطة ولا نافطة"[260]

---

(249) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 267/1.

(250) مجمع الأمثال، الميداني، 297/2.

(251) التحفة الأدبية، قصير،ص 97.

(252) مجمع الأمثال، الميداني، 317/2.

(253) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت ،ص490، وفسّره: الخربصيصة: شيء من الحلي، والهلبسيسة كذلك. يقال في باب ما ينطق بجحدٍ.

(254) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2.

(255) التحفة الأدبية، قصير،ص 181.

(256) مجمع الأمثال، الميداني،312/2.

(257) المصدر نفسه ،312/2.

(258) الأمثال العربية القديمة، محمّد جمال صقر، ص 100.

(259) من نثر الدر، الآبي 88/3، وفسّره: أي ضرس ولا ناب من قولهم تكه تكا إذا قصّه.

ـ "ماله هاربٌ ولا قاربٌ"[261]

ـ "ماله سُمٌّ ولا حمٌّ"[262]

ـ "ما له حانّة ولا آنّة"[263]

ـ "ما له سبدٌ ولا لبدٌ"[264]

ـ "ما له قذعملة ولا قرطعبة"[265]

ـ "ما له سعنة ولا معنة"[266]

ـ "ما له ثاغية ولا راغية"[267]

ـ "ما له دقيقة ولا جليلة"[268]

ـ "ما له دارٌ ولا عقارٌ"[269]

ـ "ما له حابلٌ ولا نابلٌ"[270]

ـ "ما له هابلٌ ولا آبلٌ"[271]

---

(260) مجمع الأمثال، الميداني، 290/2، العافطة: النعجة، والنافطة: العنز.

(261) المصدر نفسه، 291/2.

(262) المصدر نفسه، 292/2، وقال الميداني: بالضم ويفتحان أي ما له همّ غيرك، يقال: ما له سم ولا حم أي ليس أحد يرجوه وقيل هذا من قولهم: حممت حمك وسممت سمك أي قصدك والمعنى ما له قاصد يقصده أي لا خير فيه يقصد له.

(263) المصدر نفسه، 292/2،و قال: أي ناقة ولا شاة.

(264) المصدر نفسه، 292/2، وفسّره: السبد: الشعر، اللبد: الصوف.

(265) المصدر نفسه، 292/2، وفسّره: القذعملة والقرطعبة والسعنة والمعنة ما وجدنا أحداً يدري ما أصولها هذا ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلاّم، وقيل: رجل قذعمل: أي هين خسيس والقذعملة: المرأة القصيرة الخسيسة، والقرطعبة: مثله في المعنى.

(266) المصدر نفسه، 293/2، وفسّره: قيل السعنة: الودك وقيل السعنة الكثرة من الطعام وغيره والمعنة: القلة من الطعام وغيره. والمعنى الشيء اليسير.

(267) المصدر نفسه، 311/2، الثاغية: النعجة، والراغية: الناقة أي ما له شيء.

(268) المصدر نفسه، 311/2، وفسّره: الدقيقة: الشاة، الجليلة: الناقة.

(269) المصدر نفسه، 311/2، العقار: النخل ويقال هو متاع البيت.

(270) المصدر نفسه، 319/2، الحابل: السّدي والنابل: اللحمة أي ما له شيء.

(271)المصدر نفسه ، 325/2، وفسّره: الهابل: المحتال والآبل: الحسن الرعية ويقال ذئب هبل أي محتال، واهتبل الصائد أي اغتنم غفلة الصيد. يضرب لمن لا يكون له أحد مهتم بشأنه.

ــ "ما له شقذٌ ولا نقذٌ"(272)

ــ "ما له ألٌّ وغلٌّ"(273)

ــ "ما له زرعٌ ولا ضرعٌ"(274)

ــ "ما له حلوبة ولا ركوبة"(275)

ــ "ما له نسولة ولا قتوبة ولا جزورة"(276)

ــ "ما له جولٌ ولا معقولٌ"(277)

ــ "ما له سارحةٌ ولا رائحةٌ"(278)

ــ "ما له هُبّعٌ ولا رُبعٌ"(279)

ــ "ما له ستر ولا حجر"(280)

ــ "ما له حسٌّ ولا بسٌّ"(281)

ــ "ما هو إلا غَرَقٌ أو شَرَقٌ"(282)

ــ "ما له عن ذلك الأمر حُمٌّ ولا رمٌّ"(283)

ــ "ما له حبضٌ ولا نبضٌ"(284)

---

(272) المستقصى، الزمخشري 331/2، وقال: أي ما له أحد يشقذه أي يطرده ولا أحد ينقذه.

(273) الأمثال، أبو عبيد البكري،ص 501، وفي لسان العرب مادة غلل 24/11 غُلّ أي جنّ وأُلّ أي دُفع.

(274) متخير الألفاظ، ابن فارس 156، أي ما له شيء.

(275) المصدر نفسه، 158.

(276) مجمع الأمثال، الميداني، 286/2، وفسّره: أي ما يتخذ للنسل، ولا ما يعمل عليه. ولا شاة يجز صوفها أي ما له شيء.

(277) المصدر نفسه 321/2، وقال الميداني: الجول: عرض البئر من أسفله إلى أعلاه. والمعقول: العقل والمعنى ما له عزيمة قوية. كجول البئر الذي يؤمن انهياره بصلابته ولا عقل يمنعه ويكفه عما لا يليق بأمثاله.

(278) المصدر نفسه 334/2، وقال: سرحت الماشية أرسلتها في المرعى فسرحت هي. والمعنى ما تسرح وتروح.

(279) جمهرة الأمثال، العسكري، 214/2، وفسّره: الرُبع: ما ينتج من أولاد الناقة في زمن الربيع، والهبع: ما نتج في الصيف.

(280) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت،ص 489، وقال: الستر: الحياء، والحجر: العقل.

(281) المصدر نفسه،ص 489، أي حركة.

(282) مجمع الأمثال، الميداني، 323/2.

(283) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 122، وفسّره: أي لا بُدّ منه. و يقال حُمٌّ محال ورمٌّ إتباع.

ـــ "ما ضفا ولا صفا عطاؤه"[285]

وبعد هذا العرض لمجيء (ما) النافية في الأمثال التي جاءت بصيغة الاسم نلحظ ما أشرنا إليه سابقاً من إفادتها النفي من خلال العلاقة بين المسند والمسند إليه في الجملة.

والشيء الملحوظ هنا تكرار لا في النفي في جميع الأمثال السابقة وفي ذلك يقول أحدهم: "وربما كان من أوضح الفروق بين النفي اللغوي والنفي المنطقي، أنّ نفي النفي ينتج الإثبات ولا شيء غير الإثبات في ذهن المنطقي والرياضي، ولكنّه من الناحية اللغويّة ليس إلاّ تأكيداً للنفي، فقد يريد المتكلّم أن ينفي جملة من الجمل أو معنى من المعاني، وقد تدفعه حالته النفسيّة أو ظروف الكلام إلى تأكيد هذا النفي، فيكرّر أداة النفي مثنى وثلاث ورباع وقد انتظمت هذه الظاهرة معظم لغات العالم"[286].

ويقول آخر: "يبدو أنّ التقديم والتأخير في هذه النماذج لم يكن لتسويغ مجيء المبتدأ نكرة، فهذه النكرة واقعة في سياق نفي، فضلاً عن أنّها معطوف عليها، وكلاهما مسوّغ كافٍ كما ذكر السيوطي، فالتقديم جائز إذن، إنّ الذي وراء التقديم والتأخير في هذه الأمثال التعبيريّة تحقيق غرض متعلقٍ بالوصف الذي هو أساسها، إنّها عبارة عن وصف فلان بانتفاء ملك أقلّ شيء عنه والسخر منه والتسميع به، وتقديم المسند شبه الجملة أفاد أنه إن لم يكن له شيء فلغيره أشياء وهذا أبلغ في السخر"[287].

أمّا اللام التي جاءت في الأمثال السابقة فقد تبيّن أن القائل يفتقر إلى هذا الحرف لينفي أنّه يملك شيئاً، وبذلك أدّت اللام معنى التملّك[288].

وأما (ما) النافية الداخلة على الجملة الفعلية فقد جاءت لنفي الفعل في الأمثال التالية:

ـــ "ما أحلى في هذا الأمرولا أمرّ"[289]

ـــ "ما أدري أغار أم مار"[290]

ـــ "أتيت فلاناً فما أرغاني ولا أثغاني"[291]

ـــ "ما اكتحلت غماضاً ولا حثاثاً"[292]

---

(284) مجمع الأمثال، الميداني، 292/2.

(285) المصدر نفسه 316/2.

(286) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 179.

(287) الأمثال العربية القديمة، محمّد جمال صقر، ص 125.

(288) المرجع نفسه، ص 96 بتصرف.

(289) مجمع الأمثال، الميداني، 319/2، وفسّره: أي لم يصنع شيئاً.

(290) المصدر نفسه، 324/2.

(291) الأمثال، أبي عكرمة الضبيّ ،ص27، و قال: أي لم يعطني إبلاً ولا غنماً.

ـ "ما تحسنُ تعجوه ولا تنجوه"[293]

ـ "ما تكلمت بكلمةٍ منذ كذا وكذا حتّى أخطمها وأزمها"[294]

ـ "قدم فما جاء بهلّة ولا بلّة"[295]

ـ "ما حويت ولا لويت"[296]

ـ "ما حجّ ولكنّه دجّ"[297]

ـ "ما ذقت عضاضاً ولا مضاضاً ولا قضاماً ولا لماظاً"[298]

ـ "ما رزأته زبالاً ولا قبالاً"[299]

ـ "ما ظلمته نقيراً ولا فتيلاً"[300]

ـ "ما نقص عنده عبكة ولا لبكه"[301]

ـ "ما يعرف هرّاً من برٍّ"[302]

ـ "ما يعرف من يهرّه ممّن يبرّه"[303]

ـ "ما يعرف الحوّ من اللوّ"[304]

---

(292) مجمع الأمثال، الميداني 314/2، وقال: أي ما ذقت نوماً.

(293) المصدر نفسه، 318/2، وقال: أي تسقيه اللبن وتنجوه من النجو. يقال للدواء إذا أمشى الإنسان قد أنجاه يضرب للمرأة الحمقاء.

(294) الأمثال، أبي عبيد القاسم بن سلام ،ص 390، وفسّره: وليس هناك خطام ولا زمامٌ وإنما جعل هذا مثلاً لمنعــة لسانه من بوادر الفلتات والخطأ.

(295) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت،ص 23، هلَة: أي فرج، و بلّة: أي بأدنى بللٍ من الخير.

(296) المستقصى، الزمخشري، 321/2، وفسّره: من الحوية وهي كل شيء ضممته إليك وحويته. واللوية وهي كــل شيء خبأته ولويته إلى نفسك كأنه قيل ما ضممت إليك شيئاً ولا ادخّرت. يضرب لمن يطلب الباطل.

(297) مجمع الأمثال، الميداني، 311/2.

(298) الأمثال، أبي عبيد القاسم،ص 390، وفسّره: قال يعني ما يغصّ أو يمضغ أو يقضم أو يتلمظ به.

(299) جمهرة الأمثال، العسكري، 231/2، وفسّره: والقبال: الشسع، والزبال: ما تحمله النملة بفيها، والرزء: النقصان.

(300) مجمع الأمثال، الميداني، 308/2. وفسّره: النقير: النقرة في ظهر النواة، والفتيل: ما يكون في شق النواة، أي ما ظلمته شيئاً.

(301) المصدر نفسه، 310/2، وفسّره: العبكة: القطعة من الثريد ويقال العبكة: شيء قليل من السمن تبقى في النحيّ.

(302) من نثر الدر، الآبي، 109/4.

(303) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 136/3.

(304) مجمع الأمثال، الميداني 313/2.

ـــ "ما حواه ولا لواه"[305]

فهنا جاءت (ما) نافية في الجملة الفعلية، من خلال العلاقة بين المسند والمسند إليه وهذا ما يندرج على جميع الأمثال السابقة.

3ً ــ ليس: "ليس لنفي مضمون الجملة وذكر الأندلسي... خبر ليس إن لم يقيّد بزمان يحمل على الحال، كما يحمل الإيجاب عليه في نحو زيد قائم، وإذا قيد بزمان من الأزمنة فهو على ماقيد به، وحكم ما كحكم ليس في كونها عند الإطلاق لنفي الحال، وعند التقييد على ماقيد به"[306]. و(ليس) كلمة دالة على الحال، وتنفي غيره بالقرنية، وهي فعل لا يتصرّف، وزنه فَعِلَ بالكسر ثم التزم تخفيفه، ولم نقدره فَعَلَ بالفتح لأنه لا يخفف، ولا فُعِل بالضم لأنه لم يوجد في يائيّ العين إلا في هَيُؤَ، وسمع لُسُت بضم اللام، فيكون على هذه اللغة كَهَيُؤُ وزعم ابن السراج أنه حرف بمنزلة ما، وتابعه الفارسي في الحلبيات وابن شقير وجماعة والصواب الأول بدليل لستُ ولستما ولستنّ وليسا وليسوا وليست ولسنَ"[307]

وبغض النظر عن كون (ليس) حرفاً أم فعلاً يمكننا ملاحظة نفيها في الأمثال التالية:

ـــ "ليس الشحم باللحم ولكن من قواصيه"[308]

ـــ "ليس في التصنّع تمتّع ولامع التكّلف تظرّف"[309]

ـــ "ليس كل أوانٍ أحلب وأشربُ"[310]

ـــ "ليس المتعّلق كالمتأنّق"[311]

ـــ "ليس المشير كالخبير"[312]

ـــ "ليست بريشاء ولا عمشاء"[313]

---

(305) المصدر نفسه، 323/2. وفسره: الحوية: كل شيء ضممته إليك، واللوية: كل شيء خبأته.

(306) كتاب الكافيه في النحو، ابن الحاجب، 296/2.

(307) مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، حقّقه: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة و مطبعة محمّد علي صبيح (د.ط. ود.ت.)، ص293/1.

(308) المستقصى، الزمخشري، 304/2.

(309) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(310) جمهرة الأمثال، العسكري، 165/1. أي لست أجد كل أوانٍ حلوبة أحلبها وأشرب لبنها، فليس ينبغي أن أضيعها، يضرب للمنع.

(311) المستقصى، الزمخشري، 304/2. و فسّره: أي ليس القانع بالعلقة وهي البلغة كالذي يتحيز الشيء ويتنوق به.

(312) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(313) مجمع الأمثال، الميداني، 187/2.

ــ "لست إلى تكذابك وتأثامك شولان البروق"[314]

ــ "لست بخلاةٍ بنجاةٍ"[315]

فهنا نلحظ مجيء (ليس) في جميع الأمثال السابقة وقد أفادت معنى النفي وهي مختصة بالأسماء كما رأينا ولا علاقة لها بالأفعال.

4 ــ لم: "لم تدخل على الأفعال المضارعة، واللفظ لفظ المضارع والمعنى معنى الماضي، تقول: لم يقم زيدٌ أمسِ"[316]

و"التقييد بالنفي يكون لسلب النّسبة على وجه مخصوص ممّا تفيده أحرف النفي السبّعة وهي لا، وما، ولات، ولن، ولم، ولمّا (فلا) للنفي مطلقاً و(ما وإن، لات) وهي لنفي الحال إنّ دخلت على المضارع و(لن) لنفي الاستقبال و(لم ولمّا) لنفي المضيّ إلاّ أنه بلمّا ينسحب إلى ما بعد زمن التكلم ويختص بالمتوقع"[317] وقد جاءت (لم) في الأمثال التالية وقد أفادت معنى النفي:

ــ "لم يكن وماق ففراق"[318]

ــ "لم يفت من لم يمتْ"[319]

ــ "لم تفاتي فهاتي"[320]

فهنا نرى مجيء (لم) نافية في الأمثال السابقة وقد دخلت على الفعل وهو بصيغة المضارع وأفادت نفيه في الماضي.

وبعد هذا العرض يمكننا ملاحظة النتائج التالية:

1 ــ أكثر أدوات النفي استخداماً في الجملة الاسمية هي الأداة ما في حين كانت الأداة لا أكثر الأدوات استخداماً في الجملة الفعلية وهذا ما يمكن تفسيره أيضاً ضمن نطاق الخفة والاقتصاد في الكلام لما تتمتع به ما ولا من مدٍ وخفةٍ لا نراهما في أية أداة أخرى.

---

(314) المستقصى، الزمخشري 281/2،و قال: هي الناقة التي تشوك بذنبها وليست بلاقح والتكذاب والتأثام بمعنى الكذب والإثم، يضرب في ذم الكلام الكثير وما فيه من الكذب والإثم الذي لا يكاد يخلو منه.

(315) مجمع الأمثال، الميداني، 175/2.

(316) الأصول في النحو، ابن السراج ، ص 157.

(317) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ص 137.

(318) المستقصى، الزمخشري، 375/1.

(319) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2، هذا من كلام أكثم بن صيفي يقول : من مات فهو الفائت حقيقة.

(320) المصدر نفسه، 191/2. أي إن لم يفتك ما تطلبين فهاتي ما عندك، أي استقبلي الأمر فإنه لم يفتك.

2 ــ أكثر أدوات النفي استخداماً في الأمثال المدروسة كماً (من حيث الكم) هي الأداة (ما) في حين احتلت الأداة (لا) المرتبة الثانية، وهذا ما يمكن تفسيره أيضاً بميل السلف إلى أداء المثل بأيسر الطرق والأساليب وأخفها على اللسان، وهو ما تمتع به أصوات الذلاقة والمد على حد سواء، فأصوات الذلاقة هي: اللام والنون إلى جانب الفاء والباء والميم، ففي صفة الذلاقة عموم لاشتمالها على الحروف الذلقية مخرجاً وصفة، وعلى بعض الحروف الشفوية صفة، وهي تتصف بالخفة والسهولة سواء أكانت خارجة من ذلق اللسان أم من ذلق الشفة[321].

(321) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 123.

رابعاً: أسلوب الشرط:

أسلوب الشرط من الأساليب التي كَثُر استعمالها في الأمثال العربية المدروسة إلى جانب الأساليب السابقة، وسنحاول في هذه الدراسة التعرّف على هذا الأسلوب، ومن خلال تجلياته في الأمثال المدروسة.

"لم يستخدم النحاة كلمة الشرط مصطلحاً نحويّاً في بدايات البحث النحوي واستخدموا بدلاً منها مصطلح جزاء ومجازاة وجازوا وهو يعني إمّا الجزم وإمّا الربط والتعليق وإمّا السببيّة ولم يستخدم سيبويه كلمة الشرط في الكتاب قطّ"(322). فقد أشار سيبويه إلى أنّ الجزاء يفيد تعلّق الجواب بالشرط تعلّقاً لا غنى عنه، فلا يتحقق الثاني إلاّ إذا تحقّق الأوّل قال: "إنّما انجزم جواب إن تأتني بإن تأتني لأنهم جعلوه معلّقاً بالأوّل غير مستغنٍ عنه إذا أرادوا الجزاء، كما أنّ تأتني غير مستغنية عن آتك"(323).

ويقول في موضع آخر: "وسألتُ الخليل عن قوله جلّ وعزّ: "وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون"(324) فقال: هذا كلامٌ معلّق بالكلام الأوّل كما كانت الفاء معلّقة بالكلام الأوّل"(325).

وجعل سيبويه أساس الربط والتعليق بين فعل الشرط وجوابه سببيّ حيث قال: "الذي يأتيني فله درهمان، حيث جعل الثاني جواباً للأوّل، وجعل الأول به يجب له الدرهمان، فدخلت الفاء ها هنا... وإنما أدخل الفاء لتكون العطيّة مع وقوع الإتيان فإذا قال: له درهمان، فقد يكون أن لا يوجب له ذلك بالإتيان، فإذا أدخل الفاء فإنما يجعل الإتيان سبب ذلك"(326).

في أسلوب الشرط: "لا بُدّ للشرط من جواب وإلاّ لم يتم الكلام، وهو نظير المبتدأ الذي لا بُدّ له من خبر، ألا ترى أنك لو قلت "زيدٌ " لم يكن كلاماً، يقال فيه صدقٌ ولا كذبٌ، فإذا قلت: منطلقٌ تمّ الكلام، فلا بد لشرط الجزاء من جواب والجواب يكون على ضربين بالفعل، ويكون بالفاء"(327)، "كلمة الشرط ما يطلب جملتين، يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضاً حصول مضمون الثانية، فالمضمون الأوّل مفروض ملزوم، و الثاني لازمه، فهذا المفروض وجوده قد يكون في الماضي، فإن كان مع قطع المتكلم بعدمه فيه استعمل لازمه فيه، فالكلمة الموضوعة له (لو) وإن لم يكن مع قطع المتكلم بعدمه

---

(322) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، إشراف: مصطفى جطل رسالة ماجستير جامعة تشـــرين 1986 م، ص 2.

(323) الكتاب، سيبويه، 93/3.

(324) سورة الروم، الآية 36.

(325) الكتاب، سيبويه، 67/3.

(326) المصدر نفسه، 102/3.

(327) الأصول في النحو ، ابن السراج 158/2.

فيه، استعمل فيه (إن) لا على أنها موضوعة له كما يجيء، فلهذا كان (لو) لانتقاء الأول لانتقاء الثاني كما يجيء في حروف الشرط؛ لأن مضمون جوابه المعدوم لازم لمضمون شرطه و بانتفاء اللازم ينتفي الملزوم"[328]، "ينهض التركيب الشرطي على ثلاثة أركان: أداة الشرط وفعله وجوابه، ولا يمكن أن يكتمل هذا التركيب إلاّ باكتمال هذه المحاور كلها فإن حذف واحد أو اثنان فبقرينة تدل عليهما، ويرتبط معنى الجواب بمعنى الفعل من خلال التلازم الذي فرضته بينهما أداة الشرط، يبقى تحقق الجواب مقيّداً بتحقق الفعل الشرطي، أي العملية الإسنادية في الجواب مشروطة ومقيّدة بتحقق العملية الإسنادية في الفعل الشرط"[329]

"التقييد بالشرط يكون للأغراض التي تؤديها معاني أدوات الشرط– كالزمان في (متى وأيان)، والمكان في (أين وأنّى و حيثما)، والحال في (كيفما)، و استيفاء ذلك و تحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر في علم النحو"[330]

ولجملة الشرط نظام خاص، وذلك أن تتصدّر أداة الشرط، وتليها عبارة الشرط أو فعل الشرط، ثم عبارة الجواب أو الجزاء، وقد يتغير هذا النظام بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط وفعله، وهو ما سنعرض له فيما سيتقدّم، وأسلوب الشرط له أدواته التي ينجزم بعدها فعل الشرط وجوابه أو لا ينجزمان، بمعنى أنّ هناك أدوات شرط جازمة، وأدوات شرط غير جازمة، وسنحاول فيما يلي استعراض هذه الأدوات في الأمثال المدروسة بنوعيها الجازمة وغير الجازمة، أما أدوات الشرط الجازمة فهي:

1 ــ إنْ: وهي حرفٌ وزعم الخليل أنّ إنْ هي أمٌّ حروف الجزاء، لأنّ أدوات الشرط قد تتصرف إلى غير الشرط كالاستفهام والظرف والموصول.. ومنها ما يحتاج إلى (ما) حتى يصير شرطاً وهي لا تخرج عن الشرط[331].

و"الأصل عدم قطع المتكّلم بوقوع الشرط في المستقبل مع (إن) ومن ثم كَثُر أن تستعمل إن في الأحوال التي يندر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه"[332]

---

(328) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 108/2.

(329) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، ص 103، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، س 23، ع 276 نيسان 1994 م.

(330) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 132.

(331) الكتاب، سيبويه، 63/3 بتصرّف.

(332) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

"وحقّ (إنْ) في الجزاء أن يليها المستقبل من الفعل، لأنك إنما تشترط فيما يأتي، أن يقع شيء لوقوع غيره، وإن وليها فعل ماضٍ أحالت معناه إلى الاستقبال، وذلك قولك: إن قمتَ قمتْ، إنما المعنى: إن تقم أقم (فإن) تجعل الماضي مستقبلاً"[333]

وقد جاءت (إن) الشرطية، وأفادت معنى الشرط في مثل قولهم:

ـــ "إنْ رمت المحاجزة فقبل المناجرة"[334]

ـــ "إن لم يكن وفاق ففراق"[335]

ـــ "إن لم تغلب فاخلب"[336]

ـــ "إلاّ حظيّة فلا أليّة"[337]

فهنا نلحظ مجيء (إن) وقد أفادت معنى الشرط ودخلت على الماضي والمضارع، ودخولها على الماضي جعلها تخلص معناه للمستقبل لأن الشرط يكون فيما يأتي.

وهنا نلحظ اتفاق عبارتي الشرط والجواب في الصيغة فجاء فعل الشرط وجوابه ماضيين فقد ارتبط الجواب بالفعل من خلال التلازم الذي أوجدته بينهما أداة الشرط، وتحقق الجواب كما رأينا مرهون بتحقق الفعل الشرطي، وبدون الجواب هنا لن يتمّ الكلام ولن يُفهم المعنى.

2 ـــ مَنْ: وهو اسم شرط للعاقل ويكون اسم استفهام واسم موصول للعاقل[338].

و"اعلم أنّ لحرف الجزاء ثلاثة أحوال، حالٍ يظهر فيها، وحالٍ يقع موقعه اسم يقوم مقامه ولا يجوز أن يظهر معه، والثالث أن يحذف مع ما عمل فيه، ويكون في الكلام دليل عليه، فأما الثاني: فأن يقع موقع حرف الجزاء اسم، والأسماء التي تقع موقعه على حزبين: اسم غير ظرفٍ واسم ظرفٌ، فالأسماء التي هي غير الظروف مَنْ تكرم أكرم، و كان الأصل: إن تكرم زيداً و أشباه زيدٍ أكرم، فوقعت (مَنْ) لما يعقل، كما وقعت (مَنْ) في الاستفهام مبهمةً لما في ذلك الحكمة"[339] وكذلك "أجمع النحاة على أنّ من اسم شرط متضمن معنى إن، وعملها الجزم كسائر أدوات الشرط، وذلك لتضمنها معنى حرف الشرط الجازم إن، فتستدعي فعلين بعدها ثانيهما مرّتب على الأول ومتوقف عليه ولمّا بين

---

(333) الأصول في النحو، ابن السّراج، ص 158/2.

(334) الأمثال، أبي عبيد القاسم 216، وقال: ومنها قولهم: التقّدم قبل التندّم أي فانجُ بنفسك قبل لقاء ما لا قوام لك به.

(335) مجمع الأمثال، الميداني 70/1.

(336) المصدر نفسه، 48/1.

(337) المصدر نفسه، 29/1.

(338) الكتاب، سيبويه، 56/3.

(339) الأصول في النحو، ابن السراج، 159/2.

هذين الفعلين من شدة ارتباط صيّرتهما بمنزلة الفعل الواحد وجزمتهما، والصحيح الذي عليه جلّ النحويين أنّ من هي الجازمة لشرطها وجوابها"[340].

وقد جاءت (مَنْ) وقد أفادت معنى الشرط واستخدمت لما يعقل في مثل قولهم:

ـ "من أكثر أهجر"[341]

ـ "من اشترى اشتوى"[342]

ـ "من احترف اعتلف"[343]

ـ "من جالَ نالَ"[344]

ـ "من جاعَ باعَ"[345]

ـ "من حفّنا أورفّنا فليقتصد"[346]

ـ "من حفّنا أورفّنا فليتّرك"[347]

ـ "من حبّ طبّ"[348]

ـ "من خانَ هانَ"[349]

ـ "من رفقَ رتق ومن خرق حرق"[350]

ـ "من سعى رعى"[351]

---

(340) أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، ناصر بن محمد بن ناصر كريري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سلسلة مشروع وزارة التعليم لنشر ألف رسالة علمية، (د.ط) 2004، ص 74.

(341) مجمع الأمثال، الميداني، 329/2، الهجر: الاسم من الإهجار وهو الإفحاش.

(342) المصدر نفسه، 343/2.

(343) المصدر نفسه، 371/2.

(344) المصدر نفسه، 371/2، وفي لسان العرب مادة جال 371/2، التجوال: التطواف، ونال 683/11: النوال: العطاء.

(345) من نثر الدر، الآبي، 63/3.

(346) المصدر نفسه، 344/2.

(347) المصدر نفسه، 344/2.

(348) المصدر نفسه، 335/2، وفسّره: الطبّ: الحذق. أي من أحبّ فطن واحتال لمن يحبّ.

(349) المصدر نفسه، 67/3.

(350) مجمع الأمثال، الميداني، 373/2، وفي لسان العرب مادة رفق 118/10 الرفق: ضد العنف، ورتق 114/10 الرتق: ضد الفتق.

(351) المصدر نفسه، 371/2، في لسان العرب مادة سعا 385/14 السعي: الكسب، ورعا 325/14. الراعي يرعى الماشية أي يحفظها.

ـ "من عيّر عُيّر"[352]

ـ "من عزّ بزّ"[353]

ـ "من غاب خابَ"[354]

ـ "من غلب سلب"[355]

ـ "من قل ذلّ و من أمر فلّ"[356]

ـ "من قنع فنع ومن قنع شبع"[357]

ـ "من لا يعلك فلا يهلك"[358]

ـ "من لا حاك فقد عاداك"[359]

ـ "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفرّ"[360]

ـ "من يجع يجشع ومن يسغب يشغب"[361]

ـ "من بدا فقد جفا"[362]

فهنا نلحظ مجيء (من) وقد دلت على العاقلين وأفادت معنى الشرط، ونلحظ كذلك ارتباط جملة الجواب بفعل الشرط من خلال التلازم الذي أوجدته بينهما من والشيء الملحوظ كذلك الإيجاز

---

(352) مجمع الأمثال، الميداني، 369/2 في لسان العرب مادة عير 625/4 تعاير القوم: عير بعضهم بعضاً، والمعاير: المعايب.

(353) المصدر نفسه، 341/2.

(354) المصدر نفسه، 376/2.

(355) المصدر نفسه، 371/2.

(356) المصدر نفسه، 345/2، أي من قل أنصاره غلب ومن كثر أقرباؤه قلّ أعداؤه.

(357) من نثر الدر، الآبي، 145/4، وفسّره: فنع أي استغنى. وفي لسان العرب مادة قنع 297/8 قنع بنفسه قنعاً وقناعةً: رضي.

(358) جمهرة الأمثال، العسكري، 434/1.

(359) المصدر نفسه، 188/2، وفسّره: الملاحاة: الملاومة وأصله من قولهم: لحوت العود إذا قشرته.

(360) مجمع الأمثال، الميداني ،360/2.

(361) المصدر نفسه، 371/2 في لسان العرب مادة جشع 49/8 الجشع: الجزع لفراق الإلف. مادة سغب 468/1 رجل ساغب لا غب: جوعان أو عطشان، مادة شغب 504/1 الشغب: تهييج الشرّ.

(362) المستقصى، الزمخشري، 354/2.

والاختصار في المثل وقصر عبارتي الشرط والجواب فهي لا تتعدَ الأداة والفعل والجواب وفي ذلك يقول أحدهم:

"من الجدير ذكره عن التركيب الشرطي أنه يُستخدم بكثرة في إطار الحكمة فمراد الحكمة أن تقدّم معنىً ثرياً في تركيب لغوي بسيط لتكون قريبة إلى الذهن سهلة الفهم"[(363)]، وهنا نرى أن المثل يقال في مقام يتطلّب تكثيف المعنى في تركيب لغوي بسيط ، ليكون قريباً من فهم السامع، وكذلك يحمل من الحكمة الشيء الكثير، فالأمثال في مجملها تندرج تحت الحكمة والموعظة وهذا ما جعل القائل يوجز في المثل المركّب بصيغة الشرط. وفي ذلك يقول أحدهم: "إنّ طبيعة المثل الحكمي التي تهدف عن طريق كشف حقائق الأشياء إلى الوعظ والإرشاد كانت تميل إلى تقديم المعنى الحكمي في بناء محايدٍ عامٍ يفرّغ من التوجيه المباشر إلى متلقٍ، وترى في هذا تأثيراً أعظم من تأثير الأمر والنهي المباشرين اللذين قلّ ورودهما"[(364)]

3ً ــ حيثما: "الظروف التي يجازى بها: متى وأينَ وأنّى، وأي حين، وحيثما، إذما، ولا يجازى بحيث وإذ حتى يُضم إليهما (ما) تصير مع كل واحد منهما بمنزلة حرف واحد فتقول إذا جازيت حيثما تذهب أذهب"[(365)].

و"منع حيثُ أن يجازى بها أنّك تقول: حيث تكون أكون، فتكون وصلٌ لها، كأنك قلت: المكان الذي تكون فيه أكون ويبيّن هذا أنّها في الخبر بمنزلة إنّما وكأنّما وإذا يُبتدأ بعدها الأسماء، أنك تقول: حيث عبد الله قائمٌ زيدٌ، وأكون حيث زيدٌ قائمٌ، فحيث كهذه الحروف التي تُبتدأ بعدها الأسماء في الخبر ولا يكون هذا من حروف الجزاء. فإذا ضممت إليها ما صارت بمنزلة إنْ وما أشبهها، ولم يجز فيها ما جاز فيها قبل أن تجيء بما، وصارت بمنزلة إمّا"[(366)].

أي أنّ حيث لا تأتي للشرط، لأنها جُعلت بمنزلة إنما وكأنما وإذا يبتدأ بعدها الأسماء وإذا دخلت ما عليها صارت بمنزلة إنْ وصحّ فيها الجزاء.

وقد جاءت في قولهم: "حيثما سقط لقط"[(367)].

فهنا نلحظ مجيء حيثما وقد أفادت معنى الشرط وفرضت التلازم بين فعل الشرط وجوابه، فتحقّق الجواب مرهون بتحقق الفعل.

---

(363) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية ، لؤي علي خليل ، الموقف الأدبي ص 114.

(364) الأمثال العربية القديمة، محمّد جمال صقر، ص 96.

(365) الأصول في النحو، ابن السراج، 159/1.

(366) الكتاب، سيبويه، 58/3.

(367) مجمع الأمثال، الميداني، 320/1، يضرب للمحتال.

وبعد هذا العرض لأدوات الشرط الجازمة الشائعة في الأمثال نلحظ مجيء الجواب في بعض الأمثال وقد اقترن بالفاء وفي بعضها الآخر جاء الجواب مجرداً من الفاء وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "إذا لم يصلح جواب الشرط للجزم، وجب اقترانه بفاء تربط جملته بفعل الشرط وتكون الجملة بعدها في محل جزم جواباً للشرط، ومواضع الفاء معروفة مشهورة نظمها بعضهم بقوله: اسمية طلبية وبجامدٍ وبما ولن وقد وبالتنفيس"[368]

و"كل جواب يمتنع جعله شرطاً فإن الفاء تجب فيه، وذلك الجملة الاسمية، والطلبية، والتي فعلها جامد، أو مقرون بقد، أو تنفيس، أو لن، أو ما"[369]

أمّا الأمثال التي اقترن جواب الشرط فيها بالفاء فيمكن تفسيره على النحو الآتي، وقد رأينا الفاء الرابطة في جواب الشرط في قولهم: ــ "من لا يعلك فلا يهلك"، "من حفّنا أورفّنا فليقتصد"، "من حفّنا أورفّنا فليترّك"، "من كان محاسينا أو مواسينا فليتفرّ"، يقول أحد الباحثين:" إنّ الجواب الذي لا يؤثر فيه حرف الشرط معنى الاستقبال المفروض له يربط بالفاء السببيّةِ لتدلّ على كونه جواباً، وذلك يكون في الفعل الطلبي، والجامد، والجملة الاسمية، وفي الفعل المنفي بلن أو ما أو إنْ، والمقرون بالسين أو سوف أو قد؛ وذلك أمّا في الفعل الطلبي والمنفي بلن والمقرون بالسين أو سوف فلأنه متعيّن للاستقبال فلا تؤثر فيه أداة الشرط استقبالاً آخر، وأمّا في الجامد، والجملة الاسمية، والفعل المنفي بما أو إنْ فلأنّ هذه المذكورات لا يمكن أن تسلّط الأداة على لفظها فلا تؤثر في معناها، وذلك أمّا في الجامد والجملة الاسمية فظاهر، وأمّا في المنفي بما وإنْ فلأنّ الأولى لها صدر الكلام بالاتّفاق، وكذلك الثانية في الصحيح فلا تتخطاهما الأداة إلى ما بعدهما، ولذلك يبقى الماضي بعدهما على مضيه والمضارع على تعيّنه للحال، وأمّا في الفعل المقترن بقد فلأنّها تجعل الماضي متحقق المضي، فلا يمكن صرفه إلى الاستقبال، وتفيد التقليل في المضارع وهو من معاني الإنشاء فيشبه الأفعال الطلبية[370]".

و"إذا لم تصل أدوات الشرط بالجزم إلى الجواب لفظاً أو محلاً قامت الفاء بوظيفة الربط بين فعلي الشرط والجواب ومحلّه الجزم"[371] ولم يذكر سيبويه في الأمثلة التي أوردها من ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء سوى الجملة الاسميّة قال: "وأمّا الجواب بالفاء فقولك: إن تأتني فأنا صاحبك"[372].

"وإنّما اختيرت الفاء دون غيرها لأنها تختصّ بمعنى لا يوجد في غيرها من حروف العطف، وهذا المعنى هو التعقيب والإتباع أي أنّ الثاني يقع بعد الأوّل من غير مهلةٍ أو تراخٍ فناسب معناها

---

(368) مذكرات في قواعد اللغة العربية، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ط 3، 1960، ص 47.

(369) أوضح المسالك، ابن هشام، 113/4 – 114.

(370) محقق كتاب أوضح المسالك، ابن هشام، 117/3.

(371) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، ص 81.

(372) الكتاب، سيبويه، 63/3.

معنى الجزاء لأنه يقع بعد الشرط، ومترتب عليه، وهذا المعنى لا يوجد إلاّ في الفاء، ولا يجوز الربط بغيرها"[373]. وفي ذلك يقول سيبويه: "ولو أدخلت الواو وثمّ في هذا الموضع تريد الجواب لم يجز"[374] وأمّا الأمثال التي وقع الجواب فيها مجرّداً من الفاء الرابطة كما في قولهم: "من يجع يشجع ومن يسغب يشغب" فيمكننا تفسيره كالآتي: لا يجوز أن تحذف الفاء الرابطة إلاّ في الضرورة الشعريّة نحو: إن تأتني أنا كريم فقال أي الخليل: "لا يكون هذا إلاّ أن يضطر شاعرٌ"[375] والأمثال هنا كالشعر ولذلك جاز فيها ما جاز في الشعر من حذف للفاء الرابطة. يقول أحدهم: "الأمثال كالشعر، يتحملان الضرورات، ويتسامح فيهما ما لا يُتسامح في غيرهما من الكلام"[376].

وأمّا أدوات الشرط غي الجازمة فقد تجلّت في الأمثال من خلال الأدوات التالية:

1 ــ إذا: وجاء في كتاب سيبويه: "وسألته عن إذا (أي الخليل) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: الفعل في إذا بمنزلته في إذْ، إذا قلت: أتذكرُ إذ تقولُ، فإذا فيما تستقبل بمنزلة إذ فيما مضى، ويُبيّن هذا أنّ إذا تجيء وقتاً معلوماً، ألا ترى أنّك لو قلت: آتيك إذا احمرّ البُسر كان حسناً، ولو قلت: أتيتك إن احمرّ البُسر، كان قبيحاً، فإن أبداً مبهمة، وكذلك حروف الجزاء، وإذا توصل بالفعل"[377] ويقول آخر: هي للمستقبل، وفيها معنى الشرط، فلذلك اختير بعدها الفعل... والأصل في استعمال (إذا)، أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل، مختص من بينها بوقوع حدث فيه، مقطوع بوقوعه في اعتقاد المتكلم"[378].

و"تستعمل (إذا) بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تستعمل (إذا) إلاّ في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع قطعاً"[379]

وقد جاءت إذا في قولهم:

ــ "إذا أردت المحاجزة فقبل المناجزة"[380]

ــ "إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"[381]

---

(373) أسلوب الشرط بين النحويين والأصوليين، ناصر بن محمد بن ناصر كريري، ص 96.

(374) الكتاب، سيبويه، 63/3.

(375) المصدر نفسه، 64/3.

(376) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 208.

(377) الكتاب، سيبويه، 60/3.

(378) كتاب الكافية في النحو، ابن الحاجب، 108/2.

(379) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

(380) جمهرة الأمثال، العسكري، 77/1، المحاجزة: من قولهم حجزت بين الشيئين، والمناجزة: سرعة القتال ويضرب في تعجيل الفرار مما لا طاقة لك به.

(381) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1.

ــ "إذا احتاجّ الزّق إلى الفلك فقد هلك"[382]

ــ "إذا جاء الحين غطىّ العين"[383]

ــ "إذا جاء الحين حار العين"[384]

ــ "إذا طلع سهيلٌ على أثباجها فلا تسأل بلقاحها ونتاجها"[385]

ــ "إذا لم تغلب فاخلب"[386]

ــ "إذا لم تسمع فألمع"[387]

ــ "إذا نزل الحين نزل بين الأذن والعين"[388]

ــ "إذا ُوقى الرجل شرّ لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد ُوقى الشرّ كلّه"[389]

فهنا نرى مجيء (إذا) وقد أفادت معنى الشرط وقد جاء بعدها الماضي في الغالبية العظمى من الأمثال لدلالته على الوقوع، فهي تستخدم في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل.

2ً ــ لو: وهي لما كان سيقع لوقوع غيره وكان بعض العرب يهمز فيقول لوء[390] ولو المستعملة في نحو" لو جاءني لأكرمته" تفيد ثلاثة أمور: أحدهما: الشرطية، أي عقد المسبّبية والسببية بين الجملتين بعدها والثاني: تقيد الشرطية بالزمن الماضي، وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت إنْ، فإنّ تلك لعقد السببية والمسببَية في المستقبل، ولهذا قالوا: الشرط بأن سابقٌ على الشرط بلو، وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي. والثالث: الامتناع وقد اختلف النحاة في إفادتها له وكيفية إفادتها إياه."[391]

---

(382) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1، الفلك: جمع فلكة. يضرب للكبير يحتاج إلى الصغير.

(383) الأمثال لأبي عبيد القاسم، 326.

(384) جمهرة الأمثال، العسكري، 106/1.

(385) الأمثال، السدوسي، 79، وقال: وذلك أشدّ ما يكون ارتفاعاً في السماء وثبج كل شيء ظهره.

(386) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 105/3، وفسّره: إذا لم تغلب فاخدع ودارِ والطف، يضرب في مداراة الناس.

(387) مجمع الأمثال، الميداني، 107/1، أي إن عجزت عن الأسماء لم تعجز عن الإشارة.

(388) العقد الفريد، ابن عبد ربه، 77/3.

(389) المستقصى، الزمخشري، 129/1.

(390) الكتاب، سيبويه، 262/3.

(391) مغني اللبيب، ابن هشام، ص 255، بتصرف.

و"(لو) تفيد انتفاء الشيء بسبب انتفاء غيره في الماضي مع القطع بانتفاء الوقوع ويجب كون جملتيها فعليتين ماضيتين نحو: لو أتقنت عملك لبلغت أملك، وتُسّمى (لو) حرف امتناع لامتناع"[392]

ويقول آخر: لو معناها إفادة الشرطية وأنّ هذه الشرطية لم تتحقق في الزمن الماضي فقد امتنع وقوعها فيه، فإفادتها الشرطية تقتضي تعليق شيء على آخر، وهذا التعليق يستلزم حتماً أن يقع بعدها جملتين بينهما نوع ترابط واتصال معنوي، يغلب أن يكون هو السببيّة في الجملة الأولى والمسببيّة في الجملة الثانية، وإفادتها امتناع المعنى الشرطي في الزمن الماضي تقتضي أن شرطها لم يقع فيما مضى فهي تفيد القطع بأن معناه لم يحصل، كما تفيد أن تعليق الجواب عليه كان في الزمن الماضي أيضاً على خلاف المعهود في التعليق بالأدوات الشرطية الجازمة، حيث يتعين الاستقبال في شرطها وجوابها معاً، ويترتب على امتناع الشرط هنا امتناع جوابه تبعاً له[393]، وتختص لو مطلقاً بالفعل، ويجوز أن يليها قليلاً اسم معمول لفعل محذوف يفسّره ما بعده.. وجواب لو إما ماضٍ معنىً وهو إمّا مثبت فاقترانه باللام أكثر من تركها، وإمّا منفي فالأمر بالعكس، وقد تُجاب بجملة اسمية[394]

وقد جاءت (لو) في مثل قولهم:

ـــ "لو تكاشفتم ما تدافعتم"[395]

فهنا نرى مجيء لو وقد أفادت معنى الشرط، فقد تعلّقت المدافعة على المكاشفة في المثل السابق، وهذا التعليق استلزم مجيء جملتي الشرط والجواب بعدها مترابطتين فالسببيّة هي التي ربطت الجملة الأولى بالمسببيّة في الجملة الثانية.

3 ـــ لمّا: وهي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره، وهي لابتداء الجواب.[396]

و"تدلّ لمّا على الزمن الماضي الواقع ويشير السياق لـــ لمّا أنّ جوابها قد وقع بوقوع الشرط من دون مهلة ولم تخرج عن هذا المعنى أبداً كما لم يقع بعدها إلاّ الفعل الماضي".[397]

و"لم ولمّا يشتركان في الحرفية، والنفي، والجزم، والقلب للمضي، وتنفرد بمصاحبة الشرط، وبجواز انقطاع نفي منفيها، وامتنع في (لمّا)، وتنفرد (لمّا) بجواز حذف مجزومها كـــ " قاربت المدينة ولمّا" أي ولما أدخلها"[398] وقد جاءت (لمّا) في قولهم:

---

(392) جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص 133.

(393) النحو الوافي، عباس حسن، ص 459 – 460، بتصرّف.

(394) أوضح المسالك، ابن هشام 130/4.

(395) العقد الفريد، ابن عبد ربه 76/3، تكاشفتم: تكشفوا عيوب بعضكم البعض.

(396) الكتاب، سيبويه، 234/4 بتصرّف.

(397) أسلوب الشرط بين النظريّة والتطبيق، إبراهيم محسن، ص160.

(398) أوضح المسالك، ابن هشام، 104/4.

ـــ "أقصر لمّا أبصرَ"[399]

فهنا نلحظ مجيء (لمّا) وقد أفادت معنى الشرط، وقد دخلت على الفعل الماضي واقتضت جملتين، وجدت إحداهما عند وجود الأخرى، ومن هنا سميّت كذلك حرف وجودٍ لوجودٍ.

وقد لاحظنا بعض الأمثال المدروسة التي تقدّم فيها ما هو بمنزلة جواب الشرط على الأداة والفعل.

وفي ذلك يقول أحدهم: "إن قلت: أقولُ مهما تقل، وأكونُ حيثما تكن، وأكون أين تكن، وأتيك متى تأتني، وتلتبسُ بها أنّى تأتها، لم يجز إلاّ في الشعر وكان جزماً".[400]

والأمثال كما أسلفنا كالشعر تتحمل الضرورات ولهذا جاز هذا التقديم فيها ومن ذلك قولهم:

ـــ "قد أحزم لو أعزم"[401]

فهنا نلحظ تقدّم ما هو بمنزلة جواب الشرط على أداة الشرط وفعل الشرط في المعنى إذ التقدير لو أعزم فقد أحزم، ولم يكتفِ القائل بتقديم ما هو بمنزلة جواب الشرط على فعله والأداة، وإنما لجأ إلى حذف الفاء الرابطة لجواب الشرط (فقد) هنا سبقت الماضي فهي تدل على التحقيق وهذا يناقض معنى جملة الجواب التي تترتب على وقوع جملة الفعل وهنا كان لا بدّ من دخول الفاء الرابطة على قد.

وكذلك قولهم:

ـــ "أقصَر لمّا أبصرَ"[402]

هنا كذلك نلحظ تقديم ما هو بمنزلة الجواب على الأداة والفعل في المعنى والتقدير لمّا أبصرَ أقصرَ.

ولهذا التقديم دلالته في الجملة الشرطية يقول سيبويه: "وكأنهم يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم"[403] فهنا يتضحّ لنا من خلال هذا القول أنّ عماد الأمر في التقديم والتأخير هو الأهمية، والذي يحدّد الأهمية هو القائل، حيث يرّتب البناء الشرطي على نحو

---

(399) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1، يضرب مثلاً للراجع عن الذنب، والإقصار: الكف عن الشيء مع القدرة عليه والقصور العجز عنه.

(400) الكتاب، سيبويه، 71/3.

(401) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2.

(402) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1.

(403) الكتاب، سيبويه، 34/1.

يتوافق مع مقاصده، والهدف من كل ذلك إثارة ذهن المتلقي وتشويقه[404]. وقد يكون للتقديم فائدة أخرى هي توكيد المعنى. وفي ذلك يقول أحدهم: "يكاد يكون تقديم ما هو بمنزلة الجواب ظاهرة في شعر هذيل... وقد وقع هذا التقديم لتوكيد المعنى"[405].

وأما الحذف في الجملة الشرطية فقد جاء في الأداة في مثل قولهم:

ــ "لم يكن وماق ففراق"[406]

وهنا يتضح لنا من خلال تفسير قائل المثل أن المثل قيل بصيغة شرطية ولكن حذفت الأداة منه وبقي المعنى مفهوماً من خلال فعل الشرط والجواب، وكذلك اقتران الجواب بالفاء الرابطة وهو بالصيغة الاسمية، وأيضاً يؤكد حذف أداة الشرط هنا مجيء المثل برواية ثانية وقد اكتملت فيها عناصر الشرط الثلاثة وهي قولهم :

ــ "إن لم يكن وفاق ففراق"[407]

ولهذا الحذف دلالته في الجملة الشرطية ، فالحذف وقع في الأداة وفي الفاء الرابطة ولعلّ القائل أراد من ذلك أن يجعل المتلقي يبحث عن أركان الجملة الشرطية ويقدّر المحذوف منها، وكأنّ الحذف وسيلة لإدخال المتلقي في قلب العملية اللغوية هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكننا أن ندرج هذا الحذف تحت الاقتصاد في الكلام والإيجاز والاختصار حتّى ولو كان ذلك سيخرجه عن القواعد اللغويّة وعن المألوف في الجملة الشرطية. وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

"الأصل في التركيب الشرطي الأداة ثم فعل ثم جواب، فأي تغيير يحدث لهذا الترتيب إنّما يعد انزياحاً عن المألوف من العبارة قد يقصد منه شحن المتلقي بطاقة من التشويق أو صب الاهتمام على أحدها بتقديمه، أو استفزاز المتلقي ودفعه إلى البحث والتفكير في حالة الحذف"[408]

الفريد في لغة الأمثال العربية:

من خلال دراستنا لمجموعة من الأمثال العربية، وجدنا انفرادها بشيوع صيغة الفعل الماضي فيها ــ ولاسيّما في الأسلوب الشرطي ــ إذا قُورن بأمثال اللغات الأخرى. وفي ذلك يقول أحد

---

(404) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، ص 105، بتصرّف.

(405) أسلوب الشرط بين النظرية والتطبيق، إبراهيم محسن، ص 170 ــ 173.

(406) المستقصى، الزمخشري، 375/1، أي إن لم يكن وماق فتعجيل الفراق والخلع أحسن من الطلاق.

(407) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1.

(408) الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، لؤي علي خليل، الموقف الأدبي، ص 109.

الباحثين: "معظم الأفعال في أمثال اللغات الأجنبية ترد بصيغة الأمر، وأقلّ من ذلك بصيغة المضارع أما ورود الفعل الماضي فحالة ينفرد بها المثل العربي دون غيره"[(409)]

ونذكر من ذلك قولهم:

ــ "إذا أخصب الزمان جاء الغاوي والهاوي"[(410)].

ــ "من خانَ هان"[(411)].

ــ "أقصرَ لمّا أبصرَ"[(412)].

ــ "إن رمت المحاجزة فقبل المناجزة"[(413)].

وكذلك نذكر بعيداً عن التركيب الشرطي قولهم:

ــ "نزلتُ بين المجرّة والمعرّة"[(414)].

ــ "سعيه في خيّاب بن هياب"[(415)].

ــ "أخبرته بعجري وبجري"[(416)].

ــ "ذهبت البليلة بالمليلة"[(417)].

ويفسّر أحدهم ورود صيغة الماضي في الأمثال العربية بقوله: "إنّ الفعل الماضي في المثل العربي يدلّ على أنّ واقعاً معيّناً قد سما إلى مرتبة المثل الأعلى، فالمثل العربي بهذه الصيغة ليس حكمة وليس دعوة إلى الحكمة، إنّه انبهارٌ أمام بهاء الواقع المتسامي وقصّة تهزّ النفس والأعماق،

---

(409) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، ص 14، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س17، ع204 شباط 1979.

(410) مجمع الأمثال، الميداني، 92/1.

(411) من نثر الدر، الآبي، 67/3.

(412) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1.

(413) الأمثال، أبو عبيد القاسم، 216.

(414) مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، 612/2.

(415) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، ص 46.

(416) مجمع الأمثال، الميداني، 331/1.

(417) الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، 116، وفسّره: من قولك أبلّ من مرضه إذا صحّ، والمليلة حرارة يجدها الإنسان وهي حُمى في العظم.

وتستنهض الهمم، وتبشّر بقدرة الإنسان على الارتقاء في مراتب الكمال، إنه خبر يقول لنا ما هو كائن"[418]

فهنا نرى أنّ مجيء التركيب الشرطي في جملتي الشرط والجواب بصيغة الماضي ولاسيّما في الأمثال، هي حالة فريدة انفردت بها الأمثال العربية دون سواها، فقد رأينا بعض أدوات الشرط لا يليها إلاّ فعل ماضٍ ولا يكون جوابه إلاّ ماضياً،كما هو الحال في لو، لمّا، وغيرهما، وهذا يعكس لنا أهمية الشرط في بناء المثل ودوره في الدلالة، فالمثل يدل على حادث حصل وانتهى، وكان هذا المثل زبدته، فتناقلته الألسن جيلاً بعد جيلٍ، والأمثال قديمة قدم الحادثة أو القصة التي قيلت فيها، وطبيعي أن يضرب القائل المثل فيما رآه لا فيما سمعه من الآخرين،والشرط في هيكلته ينهض على ثلاثة أركان هي الأداة ثم الفعل ثم الجواب، وهذه الأركان متلازمة فيما بينها، وهذا التلازم يخلق في ذهن المرسل توتراً مشحوناً بالانفعال خرج من خلاله المثل بصيغته الحالية. يقول أحدهم: "إنّ الزمن الماضي مهمٌّ عند أبناء البادية العربيّة في كل عهدٍ من عهوده لأنّه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات" [419].

وأمّا استخدام صيغة المستقبل في لغة الأمثال فقد فسّرها أحدهم بقوله: "لإظهار أنّ المتكلّم ينظر إلى الحدث الذي انتهى كأنما هو لا يزال ماثلاً للعين، والغرض من هذا التوكيد"[420].

وبعد هذا العرض يمكننا استخلاص النتائج التالية:

1 ــ لقد تقدم جواب الشرط على أداة الشرط في المعنى في نسبة كبيرة من الأمثال المدروسة، وكان للأهمية التي يشغلها الجواب في ذهن المرسل، وكذلك لإثارة المتلقي وتشويقه وتوكيد المعنى.

2 ــ وقع حذفٌ في الأداة، في بعض الأمثلة المدروسة وربما كان هذا الحذف لجعل المتلقي يبحث عن أركان الجملة الشرطية ويقدّر المحذوف منها، كذلك سعياً وراء الاقتصاد في الكلام.

3 ــ أكثر أدوات الشرط الشائعة في الأمثال بنوعيها الجازمة وغير الجازمة، جاءت بعدها جملتا الشرط والجواب بصيغة الماضي ولهذا دلالته، فالمثل يدل على حادث حصل وانتهى والأمثال قديمة قدم الحادثة أو القصة التي قيلت فيها، وطبيعي أن يضرب القائل فيما رآه لا فيما سمعه.

---

(418) في سيكولوجيا الأمثال العربية، جورج صدقني، ص 8، مجلة المعرفة السورية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س19، ع219 أيار 1980.

(419) اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية [د.ط ود.ت)، ص 47.

(420) من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ص 169.